

"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده الأندلسي

"دراسة وتحليل"

إعداد

أسامة سلامة كامل البواريد

إشراف

الدكتور محمود عبدالله جفال الحديد

قُدِّمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع... التاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٨

ايلول، ٢٠٠٩م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة: " المحكم والمحيط الأعظم " لابن سيده الأندلسي " دراسة وتحليل " وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٥ .

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور محمود عبدالله الحدي

التخصص: اللغويات

مشرفاً

التوقيع

.....

الأستاذ الدكتور اسماعيل أحمد العميرة

التخصص: لسانيات عربية

عضواً

.....

الدكتور جعفر نايف عابنة

التخصص: الصرف والأصوات

عضواً

.....

الأستاذ الدكتور رسلان أحمد بني ياسين

التخصص: اللغويات واللهجات

عضواً

.....

(جامعة اليرموك)

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: التاريخ ٩/٩/٠٨ ..

الإهداء

- إلى أمتي التي لن تموت، ولمن أراها متمثلة بهم، من يعيشون في سبيل الله، الذّابّين عن هذا الدين، أعلام الهدى، ومصابيح الدّجى، ومنارات الورى، من ينشدون رفعة هذه الأمة ومجدها، الداعين إلى الله على بصيرة، بصبرٍ وحكمةٍ على خطى قائدهم محمد- صلى الله عليه وسلم- " العلماء ورثة الأنبياء "، وخصوصاً إلى أستاذي العالم العامل الداعية جمال جمعة السفرتي- حفظه الله - من غرس فيّ قول الشاعر:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إنّ الحياة عقيدةٌ وجهاً

- إلى من تجمعني بهم رابطة متينة وأخوة غالية... إخوتي في الله

- إلى اللذين ينيران لي الطريق بدعائهما... والداي- حفظهما الله-

- إلى من عشنا معاً تحت سقف واحد، وأكلنا على مائدة واحدة... أفراد أسرتي.

- إلى روح جدتي - رحمها الله -

الشكر والتقدير

- الحمد والشكر لله تعالى أولاً الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وأسأله أن ينفعني به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

- الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور محمود عبدالله جفال الحديدي على ما قدمه لي من نصيحٍ وتوجيهٍ.

- إلى كل من قدم لي يد عونٍ ومساعدةٍ في سبيل إتمام هذا البحث.

المحتويات

ج.....	الإهداء.....
د.....	الشكر والتقدير.....
هـ.....	المحتويات.....
و.....	الملخص باللغة العربية.....
١.....	المقدمة.....
٥.....	التمهيد.....
٢٣.....	الفصل الأول:.....
٢٤.....	أ- التعريف بابن سيده الأندلسي.....
٢٩.....	ب- تحليل مقدمة المحكم.....
٤٢.....	الفصل الثاني: تحليل أبواب المحكم.....
٦٨.....	الفصل الثالث: مصادر المحكم وشواهد.....
٩٦.....	الفصل الرابع: الموضوعات التي عالجها المحكم.....
١٢٤.....	الفصل الخامس: المحكم نقد وتقويم.....
١٤٨.....	الخاتمة.....

المصادر والمراجع.....	١٥٣
الملخص باللغة الإنجليزية.....	١٦٠

"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده الأندلسي "دراسة وتحليل"

إعداد

أسامة سلامة كامل البواريد

إشراف

الدكتور محمود عبدالله جفال الحديد

الملخص

هذه رسالة في معجم (المحكم والمحيط الأعظم)، لصاحبه: أبي الحسن علي، المعروف بابن سيده الأندلسي، المولود بمرسية سنة (٣٩٢ هـ)، والمتوفى (٤٥٨هـ). وقد سلك في منهجه التأليفي نظام ترتيب معجم العين الصوتي للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان ثالث معجم أندلسي ينهج هذا النظام، بعد معجم البارع لأبي علي القالي، ومختصر العين لأبي بكر الزبيدي.

وتوزعت فصول الرسالة على تمهيد، وخمسة فصول، كان التمهيد فيها عن بدء تاريخ ظهور المعاجم العربية، وتطورها، بداعي العناية بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. وتحدث الباحث في التمهيد عن مراحل تطور المعجمية العربية، من مشافهة للأعراب، فجمع للمفردات وتصنيف الرسائل في المعجمية، ثم تأليف وصناعة المعاجم المتكاملة، الذي استدعى من الباحث الوقوف عند تعريف المعجم، وأنماط المعاجم، وأهم المدارس المعجمية، وخصوصا مدرسة التقليبات الصوتية، ومؤسسها الأول الفراهيدي، وطريقته في التأليف التي أثرت بمن جاء بعده، ومنهم ابن سيده الأندلسي صاحب المحكم والمحيط الأعظم، موضع هذه الدراسة.

وقد سعت الرسالة نحو دراسة منهج ابن سيده في الفصل الأول، وجاء فيه تعريف بابن سيده من خلال: اسمه، وولادته، ونشأته، وعلاقته مع الأمراء، ومؤلفاته. ثم تحليل لمقدمة

معجم المحكم، وما رسم فيها ابن سيده من تفصيلات لمنهجه، والأسس التي بنى عليها محكمه، وكان قد التزم في أغلبها وما استطاع الالتزام بالآخر منها، مع الحديث عن الأسباب التي دعت ابن سيده إلى تأليف معجمه.

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان (تحليل أبواب المحكم)، وفيه درس الباحث أبواب المعجم كما رتبها ابن سيده وهي الثنائي المضعف الصحيح، فالمعتل منه، ثم الثلاثي الصحيح، فالمعتل، فاللفيف، فالرباعي، فالخماسي والسداسي.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان (مصادر المحكم وشواهد)، وفيه بيان للمصادر التي استقى ابن سيده مادته، من كتب اللغويين الكبار، والنحويين، ومن المعاجم السابقة. وفي الفصل حديث تفصيلي عن أنماط الشواهد المعجمية عند ابن سيده وهي: شواهد القرآن الكريم والقراءات القرآنية، والحديث النبوي الشريف، ولغات القبائل، والأقوال والأمثال، والشعر والضرورات الشعرية.

والفصل الرابع كان بعنوان (الموضوعات التي عالجها المحكم)، وقد توزعت بين معلومات صوتية، ونحوية، وصرفية، وعروضية، وأسماء الأعلام عنده، والأساطير، ومعاني الحروف، والألفاظ الفارسية، وموضوعات بلاغية قليلة، ومعلومات صرح ابن سيده بأنه لا علم له بها.

أما الفصل الخامس فعنوانه (المحكم نقد وتقويم)، وجاء فيه حديث عن تأثر ابن سيده وتأثيره فيمن بعده، من خلال الترتيب ونظام التقليات، والأخذ عن الآخر... وقيمة المحكم في آرائه النحوية والصوتية والعروضية، وإشارات التي تضم آراء مهمة غابت في الكتب فتجمعت عنده في المحكم، والمآخذ على المحكم التي منها الترتيب وفق نظام العين، والإطالة في المسائل التي له رأي فيها، وأنه لا يقطع في الجذر الحقيقي لبعض الكلمات، كما أخذ على المحكم إغراقه بالتفسير والتعليل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم —
أفصح العرب، والعجم والناس أجمعين. وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم واهتدى
بهديهم إلى يوم الدين، وبعد

فقد لفت انتباهي من بين ما كتب عن المعاجم مقالة فؤاد حنا ترزي عن " المعاجم
العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها "(١)، دعا فيها إلى الإقتصار على لفظة واحدة للكلمة،
وتوحيد طريقة ترتيب الكلمات، والدقة في تحديد المعاني، وحذف الألفاظ المصحفة أو المبدلة،
وحذف المعاني الخاصة، والإقلال من الترادف، وإضافة معاني الحياة المعاصرة
والمصطلحات العلمية الحديثة. ولعل الباحث يرى ضرورة أخرى في حماية اللغة العربية من
محاولة تقزيمها في تأليف العاميين بالعامية، والواجب أن نعيد قراءة تراثنا المعجمي، قراءة
جديدة من مؤشر كونه آلة عز وافتخار، إضافة إلى كونه آلة علم ومعلومات لا حصر لها؛
فالاستغناء عن معلومة، أو لفظة ليس بالأمر الهين، فنحن نتكلم عن تراث أمة، مرتبط بدين
ولغة خلدها كتاب هذا الدين وهو القرآن العظيم. فلعل الأمر يكون بتوظيف هذا التراث
المعجمي الضخم للاستفادة منه في حياتنا المعاصرة، وليس حذفه من ذاكرة الأمة.

وسبق الباحث في دراسة ابن سيده مجموعة دراسات عن ابن سيده على وجه
الخصوص، ولم تتعرض للمحكم بشيء من التفصيل الدقيق كما ستسعى الرسالة إليه،
بمحاولتها الولوج للمحكم بشيء من التفصيل الدقيق، ودراسة أبوابه وموضوعات وما حواه

(١) فؤاد حنا ترزي: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق — سورية،

م ٤٧، ج ٢، نيسان، ١٩٧٢ م.

من شواهد ومصادر مع اعتراف الباحث بأن الجهد مهما بلغ سيقى متواضعا، وأن الكمال لله تعالى وحده.

من تلك الدراسات دراسة عبد الكريم النعيمي، بعنوان (ابن سيده، آثاره وجهوده في اللغة)، ومحمد الطالبي، بعنوان (المخصص لابن سيده " دراسة وتحليل ")، ودراسة عبد القادر سلامي، بعنوان (ابن سيده اللغوي)، وقد استفاد الباحث منها أينما كان إلى ذلك سبيل. وأشار إلى المحكم كثير من الكتب التي درست المعجم العربي، وكانت دراستهم للمحكم في سياق دراسة تاريخ المعاجم العربية، خاصة الأندلسية منها. ومن تلك الدراسات دراسة يوسف عيد بعنوان (النشاط المعجمي في الأندلس)، ودراسة حسين نصار بعنوان (المعجم العربي " نشأته و تطوره ")، وعبد اللطيف الصوفي (اللغة ومعاجمها) وعبدالعلي الودغيري (المعجم العربي بالأندلس)، وغيرهم الكثير...

ومن هذه العقبات كثافة المادة العلمية في المعجم، وثقافة الكتابة الموسوعية عند ابن سيده، مما جعل الباحث يعيد القراءة، وينتقي بعناية ما يريد الاستشهاد به، ليناسب ما انتقاه فكرة الفصل الذي يتحدث عنه من ترتيب أبواب المعجم، وموضوعات خاصة ذكرها ابن سيده في المعجم، وهكذا، فقد كان من أسباب انتقاء شاهد دون آخر من المحكم قوته اللغوية الواضحة من طريقة عرض ابن سيده له ضمن قائمة الألفاظ المعدة في باب أو آخر من أبوابه الثلاثية أو الرباعية...، أو سهولة تناول ابن سيده له، التي تقترب من القارئ المتخصص تارة والقارئ المتعلم تارة أخرى، فقد لاحظ الباحث صعوبة بعض تناولات ابن سيده لشواهد دون أخرى، أو مناسبة الشاهد عند ابن سيده لما يتحدث عنه في لفظه اللغوي، فقد كان يستطرد

كثيراً، وحاول الباحث الاستغناء عن هذا الاستطراد متى كان ذلك ممكناً، وهي من الصعوبات الكبيرة التي واجهت الباحث وهو ينظر في مواد ابن سيده وألفاظه وشواهد.

وسيحاول الباحث — قدر استطاعته — الولوج إلى معجم "المحكم والمحيط الأعظم" بالدراسة والتحليل، بداية بالتمهيد وفيه حديث عن ظهور المعاجم ومراحل تطورها، وتعريفها، وأنواعها، ونبذة عن المدارس المعجمية وخصوصاً مدرسة الثقليين، ورأدها العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ووصولها إلى الأندلس والاهتمام بها. وفي الفصل الأول تعريف بابن سيده: اسمه، وولادته، ونشأته، وعلاقته مع الأمراء، ومؤلفاته. وتحليل لمقدمته لبيان الإجابة عن الأسباب التي دعت ابن سيده إلى تأليف معجمه، ثم توضيح لأهم الأسس التي بنى عليها ابن سيده محكمه، وبيان طريقة ترتيب المحكم.

وفي الفصل الثاني جاء البحث في تحليل أبواب المحكم، مع دراسة أبوابه وترتيبها، الثنائي، فالثلاثي، فالرباعي، فالخماسي والسداسي، وما تفرع عنها.

ثم الفصل الثالث دراسة لمصادر المحكم وشواهد، وبيان للمصادر التي استقى منها ابن سيده مادته من كتب اللغويين والنحويين والمعاجم السابقة وغيرها، وتفصيل لبعض شواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والقراءات، والأمثال...

ثم جاء الفصل الرابع ليصب في موضوعات المعجم، وقد توزعت الموضوعات إلى: صوتية ونحوية وصرفية وعروضية وأسطورية، إلى غير ذلك، بما يثبت موسوعية المؤلف، وتعليل دراسة الباحث للمحكم، وأهميته الموضوعية. مع إثبات اتساع أفق المعرفة في ذاك العصر، مع اهتمام ابن سيده في تثبيت كل ما سمعت أذنه.

والفصل الخامس فيه "نقد وتقويم"، من خلال تأثر ابن سيده بمن سبقه وتأثيره فيمن بعده، وقيمة المحكم ومكانته، وأبرز المآخذ عليه.

ثم جاءت الخاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها. أسأل الله العليّ القدير أن يوفقنا لما يحب ويرضى، والله الفضل أولاً وآخراً.

وفي الختام فإنني أشكر جزيل الشكر أستاذي المشرف الدكتور محمود عبد الله جفال الحديد، وأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الكرام، لا ضيع الله تعالى لهم جهداً. والله الحمد والمِنَّة والفضل.

التمهيد

نشطت حركة العلم والمعرفة مع انطلاقة الإسلام الذي حبّب إلى العرب العلم والتعلم، من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فكان الإسلام منشطاً ومحفزاً للأذهان وفاتحاً لأفاق نهضة ثقافية أساسها هذا الدين العظيم من خلال مصدره كتاب الله — عزّ وجل — وسنة النبي المصطفى — صلى الله عليه وسلم —.

وبدأت العناية بعلم العربية لحراستها من أن يقتحم حرما دخیل؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذي قدر الله له الخلود، " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^(١)، فلا بد من حراسته من خطأ في النطق أو الفهم، ولأنها لغة النبي المصطفى — صلى الله عليه وسلم — صاحب الرسالة التي نشرها بين قوم لغتهم العربية، وتولى هؤلاء القوم من بعده حمل هذه الراية، وتبليغ هذه الرسالة بدراسة مصدره " القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف " واستنباط الأحكام منهما، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة معاني ألفاظهما، وكذلك لغموض معانيهما على الكثيرين من الأعاجم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، فكانت العناية بتفسير ألفاظهما وشرح غريبهما؛ فظهرت كتب غريب الألفاظ للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ولقد أكد المعجميون أهمية المعجمية بوصفها أداة فعالة في فهم الشريعة الإسلامية، ومن هؤلاء المعجميين الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر (ت ٨١٦هـ)^(٢)، وفي حقيقة الأمر، أن عدداً من رواد المعجمية العربية كانوا من المفسرين

^(١) القرآن الكريم، الحجر، آية ٩.

^(٢) اعتمد الباحث على ذكر الاسم كاملاً وتاريخ الوفاة في المتن للتعريف بالشخصيات التي ترد في رسالته.

والفقهاء. فقد كانوا يرون أن العناية بتدوين اللغة تكليف شرعي؛ لأنها سبيل العلم بالدين.

ومن الأمثلة على هؤلاء العلماء الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) الذي ساعده تفسيره للقرآن الكريم على اقتباس معظم شواهد معجمه (تهذيب اللغة) من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) الذي ألف تفسيره المشهور (الكشاف) بالإضافة إلى معجمه (أساس البلاغة).

فالعرب بدأت تراودهم الفكرة المعجمية منذ أن بدأوا بشرح القرآن الكريم، فكان إذا أُشكل عليهم فهم لفظة من ألفاظه يعودون إلى الآثار الأدبية وخاصة الشعرية منها، فكان القرآن الكريم الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم، ويظهر ذلك من خلال كثرة الكتب المؤلفة في غريب القرآن، وأول من كتب في هذا الموضوع عبدالله بن عباس الذي كان يقول: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب". ثم توالى بعد ذلك، كما أن علوم العربية من نحو وبلاغة... أنشئت لدراسة القرآن الكريم الذي حفظ اللغة وأبقاها حية، في حين ساعدت المعاجم اللغوية على فهمها كما هي مستعملة في القرآن الكريم.^(١)

فبدأت العناية باللغة من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم بسائر اللغة من شعر ونثر، فقام اللغويون بالرحلة إلى البادية لمشاهدة الأعراب، وتسجيل ألفاظهم وحكاياتهم ونواذرهم ثم جمع الألفاظ اللغوية التي تدور حول موضوع واحد في رسائل صغيرة... إلى أن ظهر لون آخر يقوم على ترتيب الألفاظ ترتيباً معيناً، وتفسيرها، وإيراد الشواهد عليها...

(١) ينظر: إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية "بدايتها وتطورها"، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١،

ص٢٤-٢٧.

يمكن العودة إلى عبد الحميد الأقطش: إتياع الإيقاع في اللغة العربية "مقاربة ألسنية في حركية اللغة" مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج١٢، ع٢، ١٩٨٤، ص١٤٢.

ورائد هذا المجال هو الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) (ت ١٧٥هـ).

فالثروة اللغوية التي جمعها رواة اللغة بعد توجههم إلى البادية لمشاهدة الأعراب ممن تتسم لغتهم بالفصاحة، وسجلوا الألفاظ التي يستعملونها، اتبعوا في تقسيمها ثلاثة اتجاهات:^(٢)

الاتجاه الأول: جمع الألفاظ الخاصة ببعض الموضوعات، وتظهر في الكتب التي تدور حول موضوع واحد، ولم ترتب الألفاظ فيها وفق نظام أو تصنيف معين، وإنما حسب ما سمعوها من الأعراب، وهي على شكل رسائل، ومن هذه الرسائل: كتاب "الحشرات" لأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وكتاب "الحيات والعقارب" لأبي عبيد معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، وكتاب "الذباب" لابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وكتاب "الجراد" لأبي نصر أحمد بن حاتم (ت ٢٣١هـ)...^(٣)، وكتاب "الخيول" للنضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، ولقطرب (ت ٢٠٦هـ)، ولابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، ولأبي إسحاق إبراهيم ابن السري الزجاج (ت ٣١٠هـ)...^(٤)

^(١) يمكن الرجوع في تعريف الخليل إلى:

- خير الدين الزركلي: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤م، ج ٢، ص ٣٦٣.

- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار مأمون، ج ١١، ص ٧٢ - ٧٣.

- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٠، ج ١، ص ٣٤١-٣٤٧.

- السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٥٥٧ - ٥٦٠.

- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأناؤوط ومحمود الأناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٩٨٩، ج ١، ص ٤٤٢ - ٤٤٤.

^(٢) ينظر:- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ج ١، ص ٣٠٢ و ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٥.

- عبدالغفار هلال: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ط ١، مطبعة الجبلاوي، مصر، ١٩٩١، ص ١١٥-١١٧.

^(٣) حسين نصار: المعجم العربي "نشأته وتطوره"، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٨٨، ج ١، ص ١٠٠-١٠٢.

^(٤) حسين نصار: المعجم العربي، ج ١، ص ١٠٢-١٠٨.

الاتجاه الثاني: جمع الألفاظ الموضوعية لمختلف المعاني، وتتمثل في تصنيف المعاني والموضوعات مرتبة وفق نظام معين في كتاب واحد، ومن أهم مؤلفات هذا الاتجاه: كتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، و"فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)،... وأهم مؤلفات هذا الاتجاه هو "المخصص" لابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨هـ).

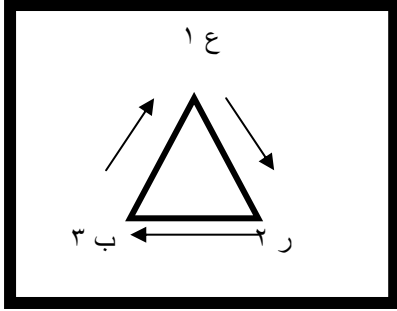
الاتجاه الثالث: جمع الألفاظ وترتيبها ترتيباً خاصاً، ثم شرحها مع الشواهد عليها، وهذا ما يمكن تسميته (المعجم). وفي هذا الاتجاه انكب اللغويون على تصنيف المعاجم المتكاملة، وظهر أول معجم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ). ولمّا لم يكن هنالك معجم سابق ليتخذ الخليل نموذجاً يُحتذى، فقد شق لنفسه طريقاً وفتح لمن بعده باباً مع الملاحظة بأن هذه المراحل الثلاثة متداخلة وليست الواحدة منها منفصلة عن غيرها.

وقد تفتقت عبقرية الخليل عن طريقة مبتكرة؛ يستطيع من خلالها إحصاء جميع المفردات الممكنة في اللغة العربية، وقد بسط هذه الطريقة في المقدمة التي صنعها لمعجمه (العين). ونظراً لأن المعجم يشتمل على أخطاء لغوية لا يمكن أن تفوت لغوياً فذاً كالخليل، ولأن مداخله تشير إلى بعض الأعلام الذين عاشوا بعد عصر الخليل، فإن بعض الباحثين المعاصرين يفترضون أن الخليل لم يكتب من المعجم سوى مقدمته وهيكله، ثم أكمله تلامذته، ولكن من المحتمل جداً أن تلك الهفوات وأسماء الأعلام المتأخرة هي من فعل النساخ، كما يشك في نسبة الكتاب للخليل، فمنهم من قال بأن الخليل رسم الكتاب ولم يحشه، ومنهم من اقتنع بصحته وأخذ عنه، وبذلك اختلفوا في مؤلفه ومادة الكتاب، ورواته^(١).

(١) وناقش هذا الأمر القدماء والمحدثون وقدم كل منهم رأيه ودليله، فلا داعي لتكرار الحديث في هذا الموضوع، إلا أنه من الممكن العودة إلى بعض الكتب التي تناولت تضارب الأقوال في نسبة العين للخليل: - يوسف العش: أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين، المجمع العلمي العربي، ١٩٤١م، ١٦، ص ٥١٣-٥٢٠.

وحدد الخليل أولاً أنواع الجذور الممكنة في اللغة العربية، فالجذور ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية الحروف. ثم أخذ كل حرف من الحروف الهجائية العربية الثمانية والعشرين، وقلّبه مع بقية الحروف، مسجلاً الجذور التي تشتمل على ذلك الحرف. وهكذا فكل حرف في الجذر الثلاثي يدخل في تشكيلات مع الحرفين الآخرين لينتج عن ذلك ستة جذور. فمثلاً تقلبيات الجذر (ع ر ب)، تنتج عنه الجذور الستة

التالية



$$١ + ٢ + ٣ = \text{عرب}$$

$$١ + ٣ + ٢ = \text{عبر}$$

$$٢ + ١ + ٣ = \text{رعب}$$

$$١ + ٣ + ٢ = \text{ربع}$$

$$٢ + ١ + ٣ = \text{بعر}$$

$$١ + ٢ + ٣ = \text{برع}$$

وهذه الجذور الستة جميعها مستعملة في اللغة العربية. ولكن في حالات أخرى، نجد أن بعض الجذور المحتملة غير مستعملة [مهملة]، بسبب قيود صوتية. وبذلك فقد أبدع الخليل

-
- = - محمد رياض كريم: القول الفصل في نسبة كتاب العين إلى الخليل، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط ١، ١٩٩٢ م.
- حسين نصار: المعجم العربي (نشأته وتطوره)، ج ١/ ص ٢١٩-٢٣٢.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب "العين" تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٨٦، مقدمة المحققين، ج ١/ ص ١٩-٢٢.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب "العين" مرتباً على حروف المعجم: ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، مقدمة المحقق ص ١١-٢٨.
- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية، ص ٥٣-٥٦.
- هادي حسن حمودي: الخليل وكتاب العين، لندن، ١٩٩٤، ص ٧١-٨٠.

طريقة لتسجيل مفردات اللغة جميعها كما أراد، وأثرت فيمن بعده من المعجميين.

وبهذا فإن معجم العين للفراهيدي أول معجم متكامل من المعاجم اللغوية، لذلك لابد أن نقف على تعريف المعجم، وأنماط المعاجم اللغوية، وأهم مدارسها وخصوصاً مدرسة العين ووصولها إلى الأندلس.

أما في تعريف المعجم في اللغة يؤخذ من الجذر الثلاثي لكلمة معجم (عَجَمَ) بفتح الجيم و(عَجُمَ) بضم الجيم وهو في الأصل يدل على عدم البيان، وقد دخل على الجذر (عجم) الهمزة فصار (أعجم) يعنى إزالة الغموض والإبهام، واختلف المعنى من زيادة الهمزة، لأنهم لما قالوا: أعجمت الكتاب، إذا بينته ووضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لا إثباته^(١). وفي الاصطلاح: هو كتاب يضم عدداً كبيراً من مفردات اللغة ويرتبها بطريقة معينة ويضبطها بالحركات ويذكر اشتقاقاتها ويفسرهما بذكر معانيها الحقيقية أو المجازية ويستشهد لما يذكر بفصيح الكلام من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو من كلام العرب في اللهجات والأمثال والحكم والحكايات^(٢).

(١) ينظر:

- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة(عجم)، ج ١٢، ص ٣٨-٣٩٢.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، مادة (عجم)، ج ٤، ص ١٤٧-١٤٨.
- أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٤، ط ٤، د.ت، ج ٣، ص ٨٧-٨٨.
- أبو الفتح عثمان ابن جني سر صناعة الإعراب، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، ج ١، ص ٤٣-٤٦.

(٢) أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ٤٩-٥٠، بتصرف.

وينظر في التعريف الاصطلاحي:

- عبد الغفار هلال: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، مطبعة الجبلاوي، مصر، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٠٣.
- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٧٨م، ص ١١٦.

وللمعاجم نمطان، هما ^(١):

أولاً: معاجم الألفاظ (المجنسة): وظهرت على يد الخليل، وهي معاجم تجمع ألفاظها، وترتيبها بمنهج مرسوم... وقد رتب اللغويون هذا القسم من المعاجم اعتماداً على ترتيب حروف اللغة العربية، سواء أكان بالترتيب الهجائي (أ- ب- ت- ث ... ي) الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ) وسلك هذا الترتيب مسلكين :

١- الترتيب بحسب الحرف الأول من جذر الكلمة، وكان على طريقتين هما:

(أ) ترتيب الكلمات بحسب أسبق حروفها مع إتباع نظام التقاليد، واتخذ هذا الاتجاه أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، أبو بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ) في معجمه "جمهرة اللغة".
(ب) ترتيب الكلمات بحسب الحرف الأول مع تجريد الكلمة من الزوائد واتخذ هذا الاتجاه أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب "الجيم"، وقد سمى كتابه بالجيم تشبيهاً له بالديباج لحسنه. وسار على نهجه ابن فارس في معجم "مقاييس اللغة".

٢- الترتيب بحسب الحرف الأخير من جذر الكلمة.

ثانياً: معاجم المعاني (المبوبة): وتجمع الألفاظ التي تدور حول موضوع واحد، ويطلق عليها معجمات الموضوعات، وتفيد في الحصول على لفظ أو ألفاظ لمعنى من المعاني أو غرض من الأغراض، وتنقسم إلى قسمين:

= - أحمد محمد المتونق: المعاجم اللغوية العربية "دراسة وصفية تحليلية"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص ١٩
(١) عبد المنعم عبد الله محمد وأحمد طه سلطان: المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد، ص ٢٠-٢١، بتصرف.

أ) معاجم المعاني الخاصة: هي مجموعة من الرسائل كل منها ذو موضوع محدد يضم عدداً من الألفاظ التي تخصه ويستشهد لها بالشعر العربي ومن هذه الرسائل اللغوية (الإبل – الخيل – النحل – الإنسان – النبات – الشجر) وكتب فيها كلها عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ... وألف غيره في موضوعات أخرى.

ب) معاجم المعاني العامة^(١): كتب ضمت رصيذاً لغوياً كبيراً موزعاً بحسب الموضوعات، أي أن كل مجموعة من الألفاظ توضع تحت موضوع أو قسم محدد من هذا الكتاب، ومن ذلك: "الغريب المصنف" للقاسم الهروي أبي عبيد بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وقد احتوى هذا الكتاب على عدد من الموضوعات سماها كتباً منها: (خلق الإنسان – كتاب النساء). و" الألفاظ الكتابية " لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ت ٣٢٧ هـ). و" فقه اللغة وسر العربية " لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ). و" المخصص " لعلي بن إسماعيل أبي الحسن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ).

أما المدارس المعجمية^(٢) تنقسم إلى أربعة أقسام:

أولاً: مدرسة التقليبات الصوتية: ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية وهو الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في كتابه العين، وتبعه كل من أبي علي إسماعيل ابن القاسم القالي (ت ٣٥٦ هـ) في البارع، وأبي منصور بن احمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) في

(١) ينظر: عز الدين اسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦،

ص ٣٠٤

(٢) ينظر:

- عبد الغفار هلال: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ص ١١٨.

- سعيد حسن بحيري: المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨

ص ٢٥٠ وما بعدها.

- عز الدين اسماعيل: المصادر الأدبية في التراث العربي، ص ٢٩٩-٣٠٠.

تهذيب اللغة، والصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) في المحيط في اللغة، وأبي الحسن علي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ) في المحكم والمحيط الأعظم.

— معجم " العين": الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥ هـ)^(١)

يعد الخليل العَلَمُ الرائد في غير علم، حيث ابتكر التأليف المعجمي، واخترع المنهج الذي اتبعه، واخترع في ترتيب مواده سبيلاً بكاراً هداه إليه اشتغاله بالموسيقى والعروض والإيقاع، فكان السابق في هذا المضمار دون منازع، وكان الخليل عبقرية، واسع العلم والثقافة، ومبتكر علم العروض، ومخترع علم النحو، وعلم الموسيقى العربية، وأعانه فهمه للإيقاع والنغم على ابتكار طريقة جديدة، تعتمد على مخارج الأصوات، لأن الصوت أصح في التمييز والدلالة على مخرج الحرف من الكتابة، فإذا كتبنا هذه الكلمة "تفر" دون نقط تعذر على القارئ أن يقرأها كما أراد الكاتب، أما النطق فلا يخطئه، فمثلاً في العربية خمسة حروف ذات صورة واحدة [ب، ت، ث، ن، يـ] في أول الكلمة ووسطها، ولعل إثبات الخليل هذا المنهج يعود إلى رغبته في تمييز الحرف بالصوت لأنه أقوى دلالة، وأكثر وضوحاً، وتمييزاً من الكتابة.

وقد رتب الخليل الأصوات اللغوية على النحو الآتي:

(ع ح هـ خ غ ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز ، ط د ت ، ظ ث ذ ر ل ن ، ف ب م ،

^(١) ينظر:

- إميل يعقوب : المعاجم اللغوية العربية، ص ٣٩ - ٥٢.
- أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.
- هادي حسن حمودي: الخليل وكتاب العين، ص٨١-٩١.
- مالك عبدالرحمن مصطفى: المصطلحات لبيغوية في كتاب العين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٢م، ص٢ وما بعدها.

و ا ي همزة) وبذلك نرى أن الخليل مع ترتيبه للأحرف القائم على أساس مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفة فهو لم يبدأ بالهمزة ثم الهاء من أنهما أقصى حروف الحلق، وبدأ بالعين، وذلك لأن الهمزة يلحقها النقص والتغيير والحذف، والهاء مهموسة خفية لا صوت واضح لها، فكانت بعدهما العين فبدأ بها لأنها أنصع صوتاً.

ولما استقام الأمر لل خليل جعل لكل حرف كتاباً، فكتاب في العين، وكتب في الحاء، وكتاب في الهاء، وهكذا، ثم سمي كتابه " العين "؛ لأنه الحرف الذي بدأ به، وكان على الخليل بعد ذلك أن يستقصي الأبنية، حيث إن الصرفيين كانوا قد حصروها من قبل، فقد تتبعها الخليل تتبعا علميا دقيقا وحصرها بين الثنائي، والخماسي، فرتب كلمات كل كتاب (باب) حسب الترتيب التالي:

١- باب الثنائي: وهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان ولو مع تكرار أحدهما أو تكرار الحرفين معاً مثل: (قد، قدّ، قدقد).

٢- باب الثلاثي الصحيح: وهو ما اشتمل على ثلاثة أحرف صحيحة.

٣- باب الثلاثي المعتل: وهو ما اشتمل على حرفين صحيحين وحرف علة سواء أكان أجوفاً (قال) أم مثال (وعد) أم ناقص (جرى).

٤- باب اللفيف: وهو ما اجتمع فيه حرفا علة في أي موضع، ويشمل: اللفيف المفروق (وعى)، واللفيف المقرون (عوى).

٥- باب الرباعي والخماسي: وهو ما كان من أربعة أحرف أو خمسة أحرف.

ومن صعوبات معجم الخليل، صعوبة البحث فيه، وهذا لعسر ترتيبه؛ لأنه رتب حروفه حسب المخارج، ومن الصعب تتبع هذا لأنه خلط بين الثلاثي المضاعف والرباعي المضاعف، وفيه أيضا خلط كثير نبه عليه الزبيدي في مختصر العين. وأنه يذكر الكلمة، ويذكر مقلوبها، فيذكر في مادة ع، ب، د مثلا: (ب، ع، د)، (د، ع، ب)،... إلخ فمن الصعب عند البحث عن كلمة معرفة أيها الأصل وأيها القلب. وأنه وقع في تصحيف لبعض الكلمات؛ إذ إن الكتابة في ذلك العصر لم تكن تنقط، وحروف اللغة العربية فضلا عن ذلك متقاربة في الشكل، فبين الفاء في الوسط والغين تقارب والتاء والنون وهكذا... وفي هذا كثير من اللبس. ومن بين العيوب انفراده بالكثير من الألفاظ مثل تاسوعاء التي لم تسمع عن العرب، ومن الأخطاء التي وقع فيها الخليل نجد أخطاء اشتقاقية - أنكرها الزبيدي عليه -، ويمكن كذلك الإشارة إلى أن الخليل أورد الكثير من الكلمات المولدة مثل كلمة (بس) التي تعني: (حسب)، إضافة إلى إهماله الكثير من الكلمات، وهذا أمر طبيعي إذ لا يتسنى لأي لغوي مهما كان رسوخه في علوم اللغة أن يحيط بها.

ولهذا فقد عمل أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، على اختصار معجم العين، ورسم في مقدمته بشكل واضح خطته في الاختصار قائلاً: "تؤخذ عيونه ويلخص لفظه، ويحذف حشوه، وتسقط فضول الكلام المتكررة فيه،... ومذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلاً، وأن يوقع كل شيء منه مواقعته ونضعه في بابهِ"^(١) فالزبيدي لم يقصد الاختصار وحده بل عمل على ترتيبه وتنظيمه بشكل دقيق في أبوابه، وتصحيح ما فيه من أخطاء - والتي يرى أن سببها أن الخليل وضع أصل الكتاب وهلك قبل إكماله، فأكماله من لا يقوم مقامه، فكان هذا

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشيلي: "مختصر العين" قوم نصه وعلق حواشيه وقدم له: علال

الفاسي ومحمد الطنجي، المقدمة، ص ٧-٨.

الخلل والخطأ الموجود فيه- وحذف المواد المصحفة أو المشكوك فيها، ووضع المادة اللغوية في موضعها الصحيح، وعمد إلى اختصاره من خلال حذف التنبيهات على المستعمل والمهمل، وبعض القواعد والأحكام اللغوية، وأقوال اللغويين وكثير من الشواهد، واختصار عبارات التفسير الطويلة في الأصل...^(١)

- معجم " البارع في اللغة": لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨-٣٥٦ هـ)^(٢)

سار القالي وفق ترتيب الخليل الصوتي بعد أن أدخل عليه تعديلاً طفيفاً، فكان ترتيبه للأحرف كالآتي: (هـ ح ع خ غ ، ق ك ، ض ج ش ، ل ر ن ، ط د ت ، ص ز س ، ظ ذ ث ، ف ب م ، و ا ي). وبوب كلماته كالخليل مع اختلاف في تصنيف الأبواب، فهي عنده ستة:

١- باب الثنائي المضاعف: ويسميه الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة، وفيه ما يسميه الصرفيون الرباعي المضاعف (زلزل).

٢- باب الثلاثي الصحيح.

٣- باب الثلاثي المعتل: ويتضمن اللفيف بنوعيه (بخلاف الخليل والأزهري).

٤- باب الحواشي والأوشاب: انفرد به القالي ويذكر فيه أسماء الأصوات ومحاكاة الطيور والحيوانات...

^(١) ينظر: حسين نصار: المعجم العربي، ج ١/ص ٢٤٠-٢٤٤ .

^(٢) ينظر:

- حسين نصار: المعجم العربي، ج ١/ص ٢٤٥-٢٥٨ .

- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية، ص ٦١-٦٦ .

- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: البارع في اللغة، هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة

العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، مقدمة المحقق، ج ١، ص ٦٤-٧٢ .

٥- باب الرباعي.

٦- باب الخماسي.

اتبع الخليل في ذكر الكلمة وتقاليبها^(١) أما من حيث المادة اللغوية فالقالي لم يكن في البارع سوى زيادات على العين في الشواهد من مروياته، وبقيت المادة واحدة، فبقول محقق البارع في مقدمته: " ولا أريد أن أقلل من شأن هذه الزيادات، ولكني أريد أن أقول إنها لم تطغ على العين ولم تحوله إلى شيء آخر غير العين".^(٢)

- معجم " تهذيب اللغة": لأبي منصور بن أحمد لأزهري (٢٨٢-٣٧٠ هـ)^(٣)

يعد هذا المعجم من أوثق المعاجم اللغوية، لما تميز به من دقة، وضبط وهو فعلا كما سمّاه صاحبه (تهذيب اللغة) وقد قال في مقدمته: " وقد سمّيت كتابي هذا تهذيب اللغة لأنني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ... فهذبت ما جمعت في

(١) لا شك أن فكرة التقليلات أوجدها (الخليل)، ومنه فكرة الاشتقاق الأكبر الذي عرف عن (ابن جني)، وقد رده بعض الكتاب للخليل .. ومعنى الاشتقاق الأكبر: " أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة.. وما يتصرف من كل واحد منها عليه ... " ذكر ذلك: - عبد القادر عبد الجليل : المدارس المعجمية، ص ١١٦ - ١٢٥.

- محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية "دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد"، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط(٣)، ١٩٦٨م، ص ١٠٠.

(٢) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: البارع في اللغة، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص ٧٢.

(٣) ينظر: - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، حققه وقدم له: عبدالسلام هارون، الدار المصرية

للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٤م ج ١، المقدمة، ص ٣-٥٤.

- حسين نصار: المعجم العربي، ج ١، ص ٢٥٩-٢٧٩.

- إميل يعقوب: المعاجم العربية، ص ٥٧-٦٠.

كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب^(١).

وقد اختط الأزهرى لنفسه مقاييس في الرواية والأخذ عن اللغويين يقول عنها: " ولم أودع كتابي هذا إلا ما صحّ لي سماعاً منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي^(٢)."

ولعل أهم ما في هذا المعجم هو المقدمة التي تعتبر فريدة في بابها فهي من أهم الوثائق التي تؤرخ للتأليف اللغوي والمعجمي، وللمدارس اللغوية الأولى ففيها تحدث عن شيوخه الذين أخذ عنهم وقسمهم إلى طبقات، وعقد فصلاً لبيان فضل اللسان العربي واتساعه، فهو أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، وتحدث عن صفات الحروف ومخارجها وأنواعها، ويمتاز معجمه بالدقة والتحري في الأخذ، وفيه الصحيح من كلام العرب، وبه غير الصحيح، ولكنه قليل، وهو مرتب على مخارج الحروف مثل (العين) وسمى كل حرف باباً وكل بناء كتاباً وجعل الأبنية ستة :

١. أبواب الثنائي المضاعف: تبدأ بالحرف الأول على الطريقة الصوتية وهو العين وما يليها في الترتيب كالعين مع الحاء ثم العين مع الهاء وهكذا إلى آخر الحروف، مع الأخذ بعين الاعتبار التقاليد وما ينتج عن كل مادة، وهو كالخليل لا يعيد شرح الكلمة التي وردت في تقاليد كلمة أخرى، وهذا تفادياً للتكرار.

٢. أبواب الثلاثي الصحيح: وتبدأ بحرف العين مع الحاء والحرف الثالث الذي يليهما، وهذا طبقاً وفق الترتيب الصوتي للحرف.

٣. أبواب الثلاثي المعتل: وتسير مثل الأبواب السابقة مع إلحاق المهموز بالمعتل الألف.

(١) الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١، ص ٥٤.

(٢) الأزهرى : تهذيب اللغة، ج ١، ص ٤٠.

٤. أبواب اللفيف.

٥. أبواب الرباعي: وهي تبدأ كسابقتها بحرف العين.

٦. الخماسي.

ومن الظواهر الهامة في التهذيب عناية المؤلف بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة عناية كبيرة فاق فيها غيره من اللغويين، كما كان يستشهد بالقراءات المختلفة، أضاف إلى ذلك ظاهرة أخرى هي بروز شخصيته في جمع المواد، فكان يتدخل في كل مادة، وفي كل نقاش وخلاف، مفنداً ومرجحاً وواضعاً للقواعد؛ وكان من نتائج توسع الأزهرى في الأخذ عن اللغويين إتيانه بكثير من المواد والصيغ التي أهملها (الخليل وابن دريد) قبله وكان يشير إلى ذلك في المواد.

ولكن رغم ما تميز به التهذيب من دقة وصحة، إلا أنه لم يسلم من أخطاء وهنات كتلك التي رأيناها في (العين)؛ إذ وبسبب توسعه في الأخذ عن اللغويين صار من العسير تبين الخطة التي سار عليها المؤلف في ترتيب الصيغ في داخل المواد حيث كان همه سرد الأقوال لأكثر عدد من اللغويين وهذا ما يصعب عملية البحث.

وبذلك فالأزهرى سار على نظام الخليل بحذافيره في الأصوات والأبنية والتقاليب، فهو يرى أنه لا يمكن أن يأتي أحد بما جاء به الخليل، فيقول في مقدمة معجمه: "وعلمت أنه لا يتقدم أحد على الخليل فيما أسسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمله وتحرك فكره فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه، ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين مما يزيد في بيانه وإيضاحه".^(١)

(١) الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١، ص ٤١.

- معجم المحيط في اللغة: للصاحب ابن عباد (٣٢٦-٣٨٥ هـ) (١).

اتبع الصاحب ترتيب الخليل للحروف غير أنه يختلف كثيراً عن الموسوعات اللغوية التي ظهرت في هذا القرن فهو يعتمد على تفسير واحد للفظ لا يتعداه. ولا يحاول أن يأتي في كل لفظ بالأقوال الكثيرة المتفقة والمختلفة التي أدلى بها اللغويون بشأنها، وانفرد هذا المعجم بالألفاظ مما جعله يتضخم ويكبر حجمه، ويبدو أن معظم هذه الزيادات كانت من صنعه، ومن الظواهر الهامة في هذا الكتاب أيضاً عنايته الكبيرة بالعبارات المجازية إذا أضفت المميزات الأخرى وهي الاختصار والإنفراد بكثير من الألفاظ والمعني، وذكره الألفاظ المترادفة أحياناً، وكذلك لم يكن يشير إلى الذين أخذ عنهم اللغة إلا في القليل النادر، زيادة على عدم ذكر الشواهد إلا في مواضع نادرة.

فكما اتبع الصاحب الخليل والأزهري في ترتيب الحروف كذلك اتبعهما في نظام التقاليب دون اختلاف، فيقول محقق المحيط في اللغة: "وقد سار فيه مؤلفه على منهج الخليل في العين سواء فيما يتعلق بتسلسل الحروف قسمةً على مخارجها الصوتية أو بترتيب الأبواب داخل كل حرف" (٢) أما في تقسيم الأبواب فتابع الأزهري وحده وقسمها على النحو التالي: الثنائي المضاعف، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، اللفيف، الرباعي، الخماسي.

هذه معاجم مدرسة التقليبات الصوتية التي أتبع نظام معجمها الأول العين فهي وإن كانت قد ظهرت نواتها وتطورت في المشرق، فإنها انتقلت إلى الأندلس بفضل طلبة العلم

(١) يمكن الرجوع إلى:

- الصاحب بن عباد، أبو القاسم بن عباد بن عباس بن إدريس: المحيط في اللغة، وزارة الثقافة، العراق،

ط ١، ١٩٨١ م. المقدمة، ج ١، ص ٥٧-٦١.

- حسين نصار: المعجم العربي. ج ١، ص ٢٨٠-٢٨٦.

- بسمة الرواشدة: معجم المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه، كلية

الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١ م.

(٢) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج ١/ ص ١٥.

الأندلسيين الذين رحلوا طلباً للعلم عند المشاركة، ومن خلال العلماء الذين وفدوا على الأندلس.^(١)

فالأندلس بعد أن استقلت بخلافاتها رسمياً في القرن الرابع الهجري، توسع فيها النشاط العلمي بتشجيع الخلفاء والأمراء ورجالات السلطة؛ لتستقل علمياً وحضارياً عن المشرق كما استقلت سياسياً وعسكرياً، فتتكون لها شخصيتها الخاصة بها والمميزة عن الأقطار الأخرى، وتتافس بغداد عاصمة العباسيين.

ونشطت الدراسات اللغوية في الأندلس، وعرفت النشاط المعجمي من أبي علي القالي، الذي دخل الأندلس سنة ٣٣٠هـ وافداً من بغداد، وأثر فيها من خلال الكتب التي قدم بها بعد تحصيله ودراسته في المشرق، كما وأثمرت جهوده وأثرت بالتلاميذ الذين التفوا حوله ونهلوا من علمه في اللغة والأدب، وتوارثوه من بعده، فقاموا بدور ثقافي في الأندلس، ومنهم صاحب مختصر العين، أبو بكر الزبيدي، الذي أخذ عنه مباشرة، وكان ابن سيده من التلاميذ غير المباشرين له. إضافة إلى ذلك استمر تأثير أبي علي القالي عن طريق كتبه ومؤلفاته التي خلفها.

وبذلك تكونت في الأندلس مدرسة معجمية، فالبوادر الأولى للمعجم الأندلسي تدور حول المعجم العربي الأول وهو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي عرفه الأندلسيون من خلال طلبه العلم الذين رحلوا للمشرق. فكان أول معجم أندلسي من تأليف أستاذ هذه المدرسة "القالي" الذي توفي في قرطبة سنة ٣٥٦هـ، وبذلك يكون القالي قد أحيى مدرسة العين في الأندلس، ونسج على منواله معجمه "البارع في اللغة"، والذي قامت حوله حركة

(١) عبدعلي الودغيري: المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط١، ١٩٨٤م، ص٧- ١٠.

لغوية، ومن بعده ألف الزبيدي مختصر العين، ومن ثم توالى الدراسات اللغوية المعجمية. فألف ابن سيده معجمه " المحكم والمحيط الأعظم " وهو موضع دراستنا.

ثانياً: مدرسة التقليبات الألفبائية: مثل كتاب " الجمهرة"^(١) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) وقد صنف الأبنية كالخليل مع مراعاة نظام الألفباء والتقليبات الخليين، وقسم ابن دريد الأبنية إلى أبواب وفقاً للنظام الألفبائي - باعتبار الحروف الأصول - فبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المعقود له الباب مع الحرف الذي يليه ثم الذي يليه تاركاً ما سبقه، وهكذا إلى آخر الحروف. وأخذ أسساً تقرب من هذه الأسس أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في معجميه " مقاييس اللغة " و " مجمل اللغة " .

ثالثاً: مدرسة القافية^(٢): وهي التي تعتمد على الحرف الأخير فيكون باباً، والحرف الأول فيكون فصلاً، وقد استعير الاسم من العروضيين. واتبع هذه الطريقة كثير من العلماء، منهم: الجوهري (ت ٣٩٨هـ) في الصحاح، وتنسب المدرسة إليه. وابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب، والفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) في القاموس المحيط، والزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس، وغيرها.

رابعاً: مدرسة الترتيب الألفبائي العادي^(٣): وهي مدرسة ترتب الألفاظ في الأبواب والفصول وفق ترتيب حروفها الأول، فالثاني، فالثالث، فالرابع، فالخامس دون تقليب. واتبع هذه الطريقة

(١) ينظر: - حسين نصار: المعجم العربي، ج ٢/ ص ٣١٦-٣٣٩.

- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية، ص ٧٨-٨٤.

(٢) ينظر: - أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، ص ١٢٦-١٢٨.

- حسين نصار: المعجم العربي، ج ٢/ ص ٣٨٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: - عبد الغفار هلال: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ص ١٢٠ و ١٣١.

- حسين نصار: المعجم العربي، ج ٢/ ص ٥٦٨ وما بعدها.

كل من: الفيومي في " المصباح المنير " (ت ٧٧٠ هـ)، والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في " أساس البلاغة ". ومن المعاجم الحديثة: "محيط المحيط " ومختصره " قطر المحيط " لبطرس البستاني، و"أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد " للشرتوني (ت ١٣٠٧ هـ)، و" المنجد " للأب لويس المعلوف (ت ١٣٢٤ هـ)، و" الوسيط " الصادر عن المجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٣٨٠ هـ، وغير ذلك...

الفصل الأول

ابن سيده وتحليل المقدمة

ابن سيده الأندلسي^(١)

هو أبو الحسن علي، المعروف بابن سيده، اختلف المؤرخون في اسم أبيه، فقليل إسماعيل، وقليل أحمد، وقليل محمد. وقد غلبت كنيته بابن سيده على اسم أبيه ولم يذكر سبب كنيته تلك. وذكر عنه الحموي في معجم الأدباء بأنه لم يكن في زمنه أعلم منه في النحو واللغة والأشعار وأيام العرب، وما يتعلق بعلومها...

-
- ^(١) ولما كان ابن سيده من الأعلام المشهورين، فإننا لا نرى حاجة للإطالة في التحدث عن سيرة حياته، فيمكن النظر في ترجمته إلى المصادر والمراجع التالية:
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١٨، ص ١٤٤-١٤٦.
 - خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٤، ص ٢٦٣-٢٦٤.
 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج ٣، ص ٣٣٠-٣٣١.
 - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ١٤٣.
 - أبو محمد بن أبي نصر فروح بن عبدالله الأزدي الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٧٩-٢٨٠.
 - أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٧.
 - علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، جمع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢١١.
 - ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٢، ص ٢٣١-٢٣٥.
 - ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٥، ص ٢٥٠-٢٥١.
 - محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي (إشكالات ومقاربات)، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيت الحكمة، ط (١)، ١٩٩١م، ص ١٩-٥٣.
 - داريو كابانيلاس رودريكس: ابن سيده المرسي "دراسة في حياته وآثاره" ترجمة وتعليق: حسن الواركلي، المناهل، (ع ١٤)، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٩٤هـ، نوفمبر ١٩٧٤م. و(ع ٢٤)، السنة الثانية، صفر ١٣٩٥هـ، مارس ١٩٧٥م. و(ع ٣٤)، السنة الرابعة، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ، يونيو ١٩٧٥م.
 - عبدالقادر سلامي: ابن سيده اللغوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حلب، سورية، ١٩٨٩، ص ١٥-٢٨.

ولد في مرسية (من أعمال تدمير في شرق الأندلس) حوالي السنة (٣٩٢هـ) فنسب إليها، ف قيل له المرسي، هذه المدينة التي كانت تموج بحركة علمية زاخرة، وتنتشر فيها حلقات العلم التي يتصدرها الأئمة الأعلام، ويقصدها طلبة العلم لقراءة وحفظ القرآن الكريم ورواية الحديث النبوي الشريف، ودراسة مسائل الفقه وقضايا اللغة والأدب. وكان أعمى، ووالده أعمى فهو أعمى ابن أعمى، ولكنه نير القلب كأبيه الذي كان من النحاة من أهل المعرفة والذكاء. ونشأ ابن سيده في بيت علم، إذ كان والده معلماً للغة، فتعهد به بالرعاية والتعليم، وصقله صغيراً وشبَّهه بحب اللغة وعلومها.

فبذلك كان تتلمذه أول الأمر على يد أبيه الذي تتلمذ على الزبيدي، وهذا الذي أخذ عن القالي. ثم على العالم النحوي أبي العلاء، صاعد بن الحسن البغدادي، وهو من الوافدين على الأندلس من المشرق، وكان من العارفين باللغة وفنون الأدب والأخبار، ثم على أبي عمر احمد بن محمد بن عبدالله الطلمنكي (ت ٤٢٨هـ) المنسوب إلى طلمنكة في غرب الأندلس (سلمنكا)، وكان إماماً في القراءات، ثقة في رواية اللغة، مفسراً ومحدثاً، مشهوراً بالورع ومحاربة البدع. وبهذا يكون ابن سيده قد أخذ علم اللغة عن كبار علمائها.

وقد درس ابن سيده علوم اللغة والدين، ونهل منهما بالقدر الذي كانت تسعفه به ذاكرته الجبارة، حتى وصفه معاصروه بأنه كان حافظاً، ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة والأشعار وأيام العرب، قال أبو عمر الطلمنكي: دخلت مرسية فتشبت بي أهلها ليسمعوا عليّ "غريب المصنف" فقلت لهم: أنظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يُعرف بابن سيده، فقرأه عليّ من أوله إلى آخره، فعجبت من حفظه. ومع إتقانه علم اللغة والأدب كان كثير العناية بعلوم الحكمة والمنطق وألف فيهما.

كانت الفترة التي عايشها ابن سيده فترة قلق وصراع على السلطة بعد وفاة المنصور ابن أبي العامر، وانتهاء دولة الأمويين في الأندلس سنة ٤٢٨هـ، وأسفر الصراع عن ظهور دول الطوائف واستقلال كل إمارة بأمير يتولى أمرها، وكان من نصيب مدينة دانية في شرقي الأندلس أن استقل بحكمها مجاهد بن عبد الله العامري الملقب "بالموفق"، وكان من أصحاب الهمة العالية، محباً للعلم وأهله؛ فقصده العلماء والفقهاء يلقون في كنفه كل رعاية وتقدير، فقصده ابن سيده وانقطع له؛ لرغبته في رعاية الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، فألف له أعظم كتبه: كتابا "المخصص" و"المحكم". إلا أنه بعد وفاة الأمير سنة ٤٣٦هـ كانت الإمارة من نصيب ابنه إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري، فحصلت بينه وبين ابن سيده نبوة أو جفوة^(١) هددته على أثرها بالقتل فهرب ابن سيده طالباً النجاة، وبعد فترة من الزمن كتب ابن سيده قصيدة اعتذار إلى الأمير يستشفعه أن يصفح عنه، قال فيها:

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى	سبيل، فإن الأمن في ذاك اليمنا
ضحيت فهل في برد ظلك نومة	لذي كبد حرى وذو مقلة وسنى
ونضو هموم طلحته خطوبها	فلا غاربا أبقيت منه ولا متنا

(١) محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي "إشكالات ومقاربات"، ص ٩١-٩٣. وبعض الدارسين يعللون هذه الجفوة، فيرون:

- ألما مؤامرة دبرت ضد ابن سيده من منافسيه من العلماء المترددين على بلاط دانية...
 - أو لسوء علاقة ابن سيده بكثير من علماء عصره وذلك لقسوة نقده وتجرّحه...
 - أو غيضا من المكانة التي حظي بها أيام الأمير مجاهد العامري...
- قد تكون الأسباب السابقة أجمت نار الفتنة ولكن لا أظن أن يكون أيا منهما سببا لها، ويبقى موضوع الإمارة هو الأقوى وذلك في انخياز ابن سيده إلى جانب حسن أخو الأمير علي بن مجاهد الملقب بإقبال الدولة في تنافسهما على الإمارة بعد وفاة أبيهما، ومما يشير إلى ذلك تهديد ووعيد إقبال الدولة لأبن سيده بالقتل من جهة، وهروب ابن سيده من جهة أخرى، وكذلك ما نراه في قصيدة ابن سيده — التي أرسلها للأمير — من اعتذار واستعطاف وخضوع بل إهانة لنفسه، فتبدو فيها صورة أخرى لأبن سيده بخلاف ما سنراه في مقدمة معجمه من فخر واعتداد وصل لدرجة الغرور.

غَرِيبٌ نَأَى أَهْلُوهُ عَنْهُ وَشَفَّاهُ
 هَوْتُهُمْ فَأَمْسَى لَا يَقَرُّ وَلَا يَهْنَأُ
 فَيَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ إِنِّي مُحَلَّلٌ
 عَنْ الْوَرْدِ لِأَعْنَهُ أَذَادٌ وَلَا أُذْنَى
 تَحَيَّفَنِي دَهْرِي فَأَقْبَلْتُ شَاكِيَا
 إِلَيْكَ أَمَّا أَدُونُ لِعَبْدِكَ أَمْ يُثْنَى
 وَإِنْ تَتَأَكَّدَ فِي دَمِي لَكَ نِيَّةٌ
 بِسَفْكِ فَإِنِّي لَا أَحَبُّ لَكَ حَقًّا
 دَمٌ كَوْنَتْهُ مَكْرَمَاتُكَ، وَالَّذِي
 يَكُونُ لَا عَتَبَ عَلَيْهِ إِذَا أَفْنَى
 إِذَا مَا مِنْ حَرِّ سَيْفِكَ بَارِدًا
 فَقَدِمَا غَدَا مِنْ بَرْدِ بَرَكٍ لِي سَخْنَا
 إِذَا قَتَلْتُ أَرْضَنَاكَ مِنَّا فَهَاتَهَا
 حَبِيبُ إِلَيْنَا مَا رَضِيتَ بِهِ عَنَّا
 فصفحه عنه.

وترك ابن سيده مؤلفات كثيرة وصل إلينا بعضها، وفقد بعضها الآخر، أو لا يزال
 مطموراً في دور الكتب والمحفوظات لم تصل إليه أيدي الباحثين.

أما ما وصل إلينا من مؤلفات ابن سيده فتلاثة هي: شرح مشكل أبيات المتنبي،
 والمحكم والمحيط الأعظم، والمخصص. بينما مؤلفاته التي لم تصل إلينا هي: (١)

- الأنيق في شرح الحماسة .

- شرح كتاب الأخفش .

(١) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
 ط (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٧-١٨. وذكر بعض الدارسين مؤلفات ابن سيده، فمنها ما يُوثق بصحة نسبتها إليه، ومنها
 ما يُناقش فيها بالمقارنة والموازنة بين المصادر التي ذكرتها، ومنها ما هو منسوب خطأ. ومن هؤلاء الدارسين:
 - محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي "إشكالات ومقاربات"، ص ٤٣-٤٨.
 - داريو كابانيلاس روديكس: مجلة المناهل، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب،
 ع ٤٤، السنة الثانية، ذو القعدة ١٣٩٥هـ، نوفمبر ١٩٧٥م، ص ٢٧٤-٢٨٣.

- العويس في شرح إصلاح المنطق.
 - كتاب شواذ اللغة .
 - كتاب العالم في اللغة .
 - كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب .
 - الوافي في علم القوافي .
 - كتاب التذكير والتأنيث .
- وهذا يدل على حياة علمية حافلة، تتعدد مشاربها، وتتنوع منهجياتها. وتُوفي ابن سيده في "دانية" (٢٦ من ربيع الآخر ٤٥٨هـ = ٢٧ من مارس ١٠٦٥م)، وعمره نحو ستين سنة.

تحليل مقدمة المحكم:

المحكم والمحيط الأعظم وإن كان هو المعجم الأندلسي الثالث، بعد البارع لأبي علي القالي، ومختصر العين للزبيدي، فهو الحلقة الأخيرة في مدرسة العين التي أخذت طريقة الخليل منهجاً.

بدأ ابن سيده كتابه بمقدمة طويلة مدح فيها الأمير الموفق الذي ألف له المحكم، وبين أسباب تأليفه لهذا المعجم، وعرض فيها لمنهجه الذي سيسير عليه ليتجنب الأخطاء والعثرات التي وقع فيها السابقون. وذلك بعد ذكر الله سبحانه وتعالى وحمده والثناء عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - والدعاء والالتجاء إلى الله تعالى في أن يغفر له ويتجاوز عنه وأن يديم عليه نعمة التي لا تحصى ولا تعد ، ثم بالثناء على طالب العلم الذي يسهر جفونه وهو ينتقل من علم إلى علم وأن هذه من أجل نعم الله.

فيبدأ بمدح الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبدالله العامري الذي امتاز بحبه للعلم والعلماء واکرامهم، "وكان مجاهد من أهل العفاف والعلم والشجاعة، تحقق بعلم العربية، وتصرف في علوم القرآن، قراءته، ومعانيه، وغريبه، غني بطلب ذلك من صباه إلى اكتهاله. وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه، وأنت إليه العلماء من كل صقع، فاجتمع بفنائهم جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم، كأبي عمرو المقرئ، وابن عبدالبر، وابن معمر اللغوي. فشاع العلم في حضرته، حتى فشا في جواريه وغلماؤه".^(١)

^(١) علي بن إسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصار، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٨م، مقدمة المحققين، م١/ص٦.

فيقول فيه ابن سيده: "وكلُّ بيمن "الموفق" محيي المكارم، ومروي الأسنة والصوارم، زين الزمان وتاجه... ومعيد زمن العدل إليه بعد الهلاك، مُطلع العلوم لنا نجومًا وأهلاً، ومرسل المكارم علينا غيوماً مُستَهلة... فلا فقير إلا مجبور، ولا غني إلا موقور محبور..."^(١)

وكما أن كل معجم من معاجم التي اتبعت العين - كما ذكرنا سابقاً - يدل من عنوانه على الغاية من تأليفه من اختصار أو جمع واستقصاء وحصر للمواد اللغوية أو الاختصار على الصحيح الثابت. فإن ابن سيده سمى معجمه "المحكم والمحيط الأعظم" ف(المحكم) فيه تصحيح ما ورد في معاجم السابقين من أخطاء في اللغة، والاستدراك والتصويب على ما غفلوا عنه، و(المحيط الأعظم) ففيه السعة والاستيعاب والجمع، وهذا ما يذكره ابن سيده في مقدمته عن تسمية معجمه فيقول: "هذا جميع ما اشتمل عليه كتابنا "المُحَكَّم" ، وهو في هذه الصناعة "المحيط الأعظم" قد دَبَّجْتُ فِتَانَهُ، وأدْمَجْتُ مِتَانَهُ، وشكَّلتُ آسَانَهُ، ووَكَّلْتُ بِالْإِعْرَابِ عَنْهُ لِسَانَهُ، وأبرزته للدهر مفتخراً، وبذلت فيه من مكنون علمي ما كنت له مدخراً..."^(٢).

ويتحدث في مقدمته بإسهاب عن الدواعي التي حملته على تأليف معجمه، وقد ألفه في إمارة مجاهد العامري على دانية وأهداه إليه بين عامي (٤٠٨ و ٤٣٢هـ) وذلك طاعة لأمره فقد كان يريد أن يؤلف هو نفسه معجماً، لولا أشغال الحكم وأعباء الدولة، فيقول ابن سيده: " فلما رأى أيده الله تلك الكتب المصنفة في هذه اللغة الرئيسية، الرائقة النفيسة، فأزمع التأليف، وأجمع بذاته فيها التصنيف... ثم إنه أعاقه عن التصنيف فيها ما نيط به من علائق السياسة،

(١) المحكم: م/١ ص ٣٠.

(٢) المحكم: م/١ ص ٤٨.

وأعباء الرياسة، وشغله عن ذلك ما حُبِّيَ به من إدارته الممالك، وتأمينه المسالك، وخوضه
بقداميس الجيوش المهالك^(١)

فبذلك حين نظر الموفق في الكتب المصنفة لم يرها تف بالغرض المطلوب، ولم تكن
جامعة مانعة، فأراد التأليف بنفسه، ولكن شؤون الدولة، وأعباء الحكم حالت بينه وبين هذا،
وبعد أن صمم على تحقيق هذا الهدف أخذ في البحث عن يؤهل لذلك من أهل العلم والدراية؛
ليؤدي هذا العمل الشاق، فيصور لنا ابن سيده كيف وقع الاختيار عليه دون سواه، وأمر
الموفق له بالتأليف، ورسم له الطريق. فأطاعه وسار وفق ما وصف ورسم، وسلك الطريق
نفسها، فيقول: "فالتمس من يؤهل لذلك... فوجد منهم فضلاء خياراً، ونبلأء أحباراً، ولكن
رآني أطولهم يداً، وأبعدهم في مضمار العتاق مدى، فأمرني بالتجرد لهذه الإرادة، وكساني
بذلك ثوب التتويه والإشادة، وأراني كيف أملك عنان الحقيقة، ومن أي المآتي أسلك متان
الطريقة، فأطعت وما أضعت، وأجدت كلما أردت، فأعلقتُ وأفلقتُ، وألفتُ كتابي الملخص،
الذي سميتُه "المخصص"... ثم أمرني بالتأليف على حروف المعجم، فصنفت كتابي "الموسوم
بالمحكم".

وأشار إلى أنه يريد تصحيح خطأ من سبقه في بعض أبواب التصريف... وذلك من
قوله " وأي شيء اذهب لزين، وأجلب لعبَر عَيْن، من معادلته في كتابه الموسوم " بالإصلاح
"، الرِّيم الذي هو القبر، والفضل، بالرِّيم الذي هو الظبي ؟ ظَنُّ التخفيف فيه وَضْعاً. ومن
اعتقاده في هذا الباب أن الغين، وهو جمع شجرة غِنا، وأن الشَّيم: جمع أشيم وشَيْماء، وزنه:
" فِعْل "، وذهب عليه أنه " فِعْل " غُون، وشُوم، ثم كُسرت الفاء، لتسلّم الياء، كما فُعِل ذلك في

(١) المحكم: ١م/٣٦.

بيض. وهذا باب من التصريف مَورودٌ مَنهَلٌ، ومعلومٌ غيرُ مَجْهَلٌ، إلى غير ذلك من الخطأ الذي لا أحصي عدده، ولا أحصر مدده، وقد أفردت في ذلك كتاباً^(١).

ومن ذلك أنه يبين مواطن الخطأ، ومن ذلك قوله: " هل أدلُّ على قلة التفصيل، والبُعد عن التحصيل، والجهل بالتنتيج والتفقيح، وجوده الانتقاد والتفقيح، من قول أبي عبد الله بن الأعرابي، في كتابه الموسوم بالنوادر: العدو: يكون للذكر والأنثى بغير هاء. والجمع أعداء، وأعاد، وعُداة، وعُدِيّ، وعُدِيّ، فأوهم أن هذا كله جمع لشيء واحد"^(٢).

ثم يذكر وجه الصواب، ومن قال بذلك، مع ذكر الأسباب والتعليل لهذا الاختيار، والأمثلة الموضحة له فيقول: " لكنهم قالوا: أعاد كراهية الياءين مع الكسرة، كما حكى سيبويه في جمع معطاء معطاء، قال: ولا يمتنع أن يجيء على الأصل معاطي، كأثافي، فكذلك لا يمتنع أن يقال أعاديّ. وأما عُداة فجمع عادٍ، حكى أبو زيد عن العرب: أشمت الله عاديك، أي عدوك، وهذا مُطَرَّد في باب فاعل، مما لامه حرفُ علة، أعني أن يكسّر على فُعْلة، كقاضٍ وقُضاة، ورامٍ ورُماة، وهو قول سيبويه في باب تكسير ما كان من الصفة عدته أربعة أحرف، وهذا شبيه أكثر الناس، في توهمهم أن كُماة جمع كَمِيّ، وفعل ليس مما يكسر على فُعْلة، وإنما جمع كَمِيّ أكُماء، حكاها أبو زيد. فأما كُماة فجمع كامٍ، من قولهم: كَمَى شجاعته وشهادته: كتمها. وأما عِدِيّ وعُدِيّ فاسمان للجمع، لأن فِعْلاً وفُعْلاً ليسا بصيغتي جمع، إلا لفِعْلة أو فُعْلة، وربما كانت لفِعْلة، وهي قليلة، وذلك كهَضْبَة وهَضَب، وبَدْرَة وبَدَر"^(٣).

(١) المحكم: ١م/٣٣.

(٢) المحكم: ١م/٣٤.

(٣) المحكم: ١م/٣٤-٣٥.

كما وينبه على شاذ بعض قضايا اللغة والصرف، من ذلك: شاذ النسب، والجمع، والتصغير، والمصادر، والأفعال، والإمالة، والأبنية، والتصارييف، والإدغام، وتخليص القضية النحوية أو الصرفية من الحشو، حتى لا سبيل إلى الزيادة فيها، ولا النقصان منها البتة^(١). كما وأراد ابن سيده أن يجمع في كتابه ما تشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل..

وقبل توضيح للمنهج الذي رسمه ابن سيده في مقدمته نرى أن ابن سيده سار وفق مدرسة العين للخليل بن أحمد الفراهيدي القائمة على ترتيب الأحرف وفقاً لمخرجها الصوتية بدءاً من الأبعد والانتهاء بالأقرب. فكان ترتيبه كالاتي:

(ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ي و ا)

واتبع الزبيدي في تقسيم كل كتاب إلى الأبواب التالية: (الثنائي المضاعف الصحيح، الثلاثي الصحيح، الثنائي المضاعف المعتل، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، الخماسي). وأضاف ابن سيده باباً جديداً نادراً ما يذكره يسميه أحياناً بالسداسي وأحياناً أخرى ملحق السداسي يورد فيه الكلمات الأعجمية وأسماء الأصوات.

فيبدأ كتابه بكتاب العين فيضم كل المواد اللغوية التي تكون العين من حروفها سواء أكانت من أولها أو أوسطها أو آخرها، الذي يتصدر كل الكتب بباب الثنائي المضاعف الصحيح فيبدأ هذا الباب بالعين مع الحاء فلم يعثر على هذين الحرفين في كلمة عربية ثنائية فتركها إلى العين مع الهاء فوجد "عه" وأتى بقلوبها "هع"، وبعد ذلك انتقل إلى العين مع الخاء ثم العين مع القاف ثم مع الكاف ثم مع الجيم... ثم ينتقل إلى كتاب الحاء فيضم جميع المواد

(١) المحكم: ١م/ ص ٣٦-٣٧.

اللغوية التي تشمل على الحاء بشرط ألا تكون قد وردت في كتاب العين، وهكذا في بقية الكتب يورد المواد اللغوية على ألا تكون قد وردت في الكتب السابقة.

وبحث في باب الثلاثي الصحيح العين مع الحرف الذي يليه وهو الهاء ومعها حرف ثالث فلم يجد، فانتقل إلى العين مع الهاء مع الحرف الذي يليهما وهو الخاء فلم يجد، فانتقل إلى الحرف الذي يلي الخاء وهو الغين فلم يجد، ثم القاف فوجد "عَهَقَ" ومقلوبه "هَقَعَ" فعالجهما، ولم يجد التقليل الأخرى وهي "عقه"، "هَعَقَ"، "قعه"، "قَهَعَ"، فأهملها. ثم انتقل بالعين والهاء مع الكاف الذي يلي القاف... وانتقل بالعين والهاء مع جميع الحروف الصحيحة وأهمل الحروف المعتلة لمعالجتها في باب الثلاثي المعتل... وهكذا في بقية الأبواب الكتب والأبواب.

وفي تقلبيه للكلمة يراعي الترتيب، وبهذه الطريقة فإن الكلمة لا ترد أكثر من مرة لكونها تذكر تحت أقصى حروفها مخرجاً في أي موضع كانت. ولقد استعمل المحكم نظام تقليب الكلمات ليكون طريقةً إلى إحصاء جميع الكلمات العربية المستعملة، وليس معناه أن جميع التقليلات استعملها العرب، بل منها ما استعملته ومنها ما أهملته.^(١)

ولقد استفاد ابن سيده من التطورات التي حدث قبله وأخذ بأدقها. ومن هذه المعاجم التي اتبعت نظام العين واستفاد منها ابن سيده:

١- أبو علي القالي في كتابه البارع.

٢- أبو منصور الأزهري في كتابه التهذيب.

٣- صاحب ابن عباد في كتابه المحيط.

(١) ينظر: المحكم: تحقيق: (السقا ونصار) مقدمة المحققين، م ١٦/ ص ١٧-١٦.

٤- أبو بكر الزبيدي في مختصر العين.

اتبع منهج الخليل عدة معاجم حاول أصحابها الإضافة التغيير في معاجمهم، فلم يكونوا مقلدين في كل جزئية من جزئيات طريقتهم بل خالفوه في بعضها فأضافوا أشياء جديدة تتفق مع هدف كل واحد منهم الذي أراد لأجله أن يصنف مؤلفه، وفق ما يراه اللاحق لسابق من نقص أو خلل أو عثرة فعالجها ويتجاوز عنها أو يضيف شيئاً غفل عنه سابقه، وهذه نتيجة طبيعية لتطور التأليف بين المتقدم والمتأخر.

فابن سيده التقط منهجه المحكم من مختصر العين للزبيدي وفصل القول في مقدمته عن منهجه وتفصيله، وهو يقوم على ثلاث شعب:

١- حذف أمور، رأى في ذكرها فضولاً لا حاجة لإثباته، كالمشتقات القياسية لاطرادها، ولما يفهم من السياق، فيقول ابن سيده: "ومن طريف اختصاره، ورائق بديع نظم تقصاره أني إذا ذكرت "مفعلاً"، لم اذكر "مفعلاً" لعلمي أن لكل "مفعلاً" مقصور عن "مفعلاً" على ما ذهب إليه الخليل، ولذلك صحت العين من "مفعلاً" إذا كانت واواً أو ياءاً، نحو: مجوب ومخيطة، لأنهما في نية مجواب ومخيطة.

ومنه أني لا أذكر "أفعالاً" إذا ذكرت "أفعل" من الألوان لأن كل "أفعل" عند سيبويه من الألوان، محذوفة من "أفعل" إثارةً للتخفيف... ومنه: أني لا أذكر الجمع المسلم إلا أن يكون تشبيهاً بالمكسر في كونه سماعياً، نحز: أرضين، وإحريين، وغير ذلك مما جمع بالواو والنون، وقد كان حكمه ألا يسلم إلا بالألف والتاء، نحو: باب فراشات، وسجلات وسراقات... لا أذكر تكسير المزيد من الثلاثي، ولا تكسير بنات الأربعة... لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على "فَعَلَة" إلا أن يصح موضع العين منه حوكة وحولة، فأما ما

جاء منه معتل كباعة وسادة، فلا أذكره لاطراده ... لا أذكر اسم المصدر والزمان والمكان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين واللام، لأن بناء ذلك في جميع هذه الأنواع مضطرد، فإن شذ من ذلك شيء ذكرته... ومنه: أني لا أذكر أفعال التعجب فيه البتة لاطراد صيغها...^(١)

٢- التنبيه على أمور، وهي أمور يلفت ابن سيده نظر القاريء إليها ومن ذلك شاذ النسب، والمصادر، والأفعال، والتصغير، والجمع، والتصارييف، والإدغام، فيقول: "ومنه: أني إذا رأيت صيغة مفعول لا فعل له، أشعرت بذلك، نحو مدرهم، ومفتود، أعني الجبان، لا المصاب بالفؤاد... إذا رأيت فعلاً لا مصدر له، أشعرت بمكانه، وذلك نحو: يذر: يدع، فإني أقول في مثل هذا: وليس لهذا مصدر.

وكذلك إن لم يكن للفعل ماضٍ أعلمت به... ومن ذلك على كل ما يهمز مما ليس أصله الهمزة... ومنه: إشعاري بالكلمة التي تقال بالياء والواو عيناً كانت أو لاماً... وتذكيري بما لا يصغر من الأسماء، نحو ما حكاه سيبويه من البارحة والثلاثاء والأربعاء. ومن ذلك: التنبيه على ما يستعمل إلا ظرفاً، نحو: ذات مرة، وبعيدات بين، وجمع ما حكاه سيبويه من ذلك. ومنه: إشعاري باللفظة التي تكون للواحد وللجميع، نحو: بادي الرأي، ثم يأتي حكم بعد التعقب، فيشعر أن اللفظ للجميع، على غير صيغتها في الواحد... وتذكيري بجمع الأسماء والأعلام...^(٢)

٣- التمييز بين الأمور المتشابهة: يقول ابن سيده: "ومن غريب ما تضمنه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركب، وهو الذي يسميه النحويون جمع

(١) المحكم: م ١/ ص ٤١-٤٢.

(٢) المحكم: م ١/ ص ٤٣-٤٥.

الجمع .ومن الأبنية ما يجوز أن يكون جمعا، وأن يكون جمع جمع، وذلك أدقّ ما في هذا الجنس المُقتضي للجمع، فإذا مر ابن سيده في كتابه بمثل هذا النوع من الجمع، أعلمنا أيهما أولى به: الجمع أم جمع الجمع، كقوله تعالى: (فَرَهُنَّ مَقْبُوضَةً).

فهذا إما أن يكون جمع رهن، كسَحْلٍ وسُحْلٍ، وسَقْفٍ وسُقْفٍ، وإما أن يكون رهن كُسِّرَ على رِهَانٍ، ثم كُسِّرَ رِهَانٌ على رُهُنٍ، فيكون على هذا (رُهُنٌ) جمع الجمع، لأن الجمع إذا كان على شكل الواحد، ثم كسر، فحكمه أن يكسر على ما كسر عليه الواحد المُشاكلُ له في البناء؛ ألا ترى أن أَفْعَلًا نحو أَوْطُبُ، لما كُسِّرَ قِيلُ أَوْاطُبٍ، كما قيل في جمع أَلْبُمٍ، وهي لغة في أَلْبَمٍ أبالم، لأن أَوْطُبًا بزنة أَلْبُمٍ، وإذا اتفقت العِدَّتَانِ في الجمع والواحد، وإن اختلفت الحركات، أو اختلف بعضها فحكمها في الجمع سواء، وذلك نحو: أَسْقِيَةٍ وَأَسَاقٍ، وَأَسُورَةٍ وَأَسَاوِرٍ، شبهه سيبويه بأنملةً وأناملٍ، حين لم يجد في الواحد أَفْعَلَةً، لم يجد شيئا أقرب إليه من أَفْعَلَةٍ، فإذا كان ذلك فيما يختلف بعض حركاته، كان فيما يتفق نحو أَوْطُبٍ وأَلْبُمٍ أجدر أن يتفق في الجمع.

فكذلك رِهَانٌ يعني : جمع (رُهُنٍ)، لما تصوّر على شكل كتاب ومثال ونحوهما، وكان هذا الضرب من الأشكال يكسّر على فُعْلٍ، نحو : كُتِبَ ومُتِلَ، كُسِّرَ على مثل ما كسر عليه ذلك الواحد، فقليل رُهُنٌ؛ فإذا كان مثل هذا كذا، جعلناه جمعا وإن كان نادرا، ولم نحمله على أنه جمع جمع، لأن جمع الجمع قليل في الكلام البتة، إذ ليس بأصل؛ ألا ترى أنه إن توسعنا في جمع الجمع قياسا، وسعنا جمع جمع الجمع؟^(١).

(١) المحكم: م ١/ ص ٣٩-٤٠.

ومن أعجب ما اختُصَّ به هذا الكتاب: تخلص الياء من الواو، وتعيين ما انقلبت عنه الألف المنقلبة، من ياء أو واو؛ وتحيز الزائد من الأصل، بتخلص الثلاثي والرباعي والخماسي؛ وهذا فصل لا يصل إليه إلا من قتل التصاريح علماً...^(١)

وفي المقدمة يفخر ابن سيده بإنجازه وعلمه، فيقول: " فأين علم أبي عبد الله ابن الأعرابي بأسرار هذه الصيغ من علمي، أو فهمه لغوامض تأولها من فهمي؟ إلى غير ذلك، مما لو تقصَّيته لأتعبت خاطر، وملأت القماطر، لكني آثرت طريق التقليل، إذ أقلّ من ذلك كافٍ في التمثيل "^(٢).

كما يقول ابن سيده: إن اللغويين جمًّا لا يميزون الجمع من اسم الجمع، ولا ينتبهون على جمع الجمع... وهو ليس الموضوع الوحيد الذي يخلط به اللغويون... وأنه أراد بالمحكم - من اسمه - أن يفرق بين ما اختلط على أهل اللغة^(٣).

ويدعو ابن سيده القارئ لملاحظة اختصاره عبارة من سبقه من اللغويين، بل وملاحظة إجادتها عنده، وحمله مُركَّبها على بسيطها... إلى غير ذلك، مما لو نقصاه القارئ لطالت به خطبة كتابه، وأكثر المتدربون عليه عتاباً، ولكنه اقتصر من ذلك على التمثيل، مغنياً به عن التفصيل. ثم يدعو ابن سيده للوقوف عند طريف اللغة: مثل الفرق بين التخفيف البدلي، والتخفيف القياسي، وهما نوعا تخفيف الهمز، كقول ابن سيده: إن قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسي، وإنما هو تخفيف بدلي محض، لأن همزة أخطأت همزة ساكنة قبلها

(١) المحكم: ١م/ص ٤٦.

(٢) المحكم: ١م/ص ٣٥.

(٣) المحكم: ١م/ص ٣٩.

فتحة، وصورة تخفيف الهمزة التي هذي نصبتها: أن تخلص ألفا محضة، فيقال: أخطأت، كقولهم في تخفيف كأس: كاس، لأن " طأت " من أخطأت، بمنزلة كأس^(١).

ثم يشير لاعتقاد القارئ بتقارب أبواب الكلام في كتب اللغويين والمحكم، ولكن ما عند المحكم مختلف باختصاره ودقته، ويمكن ملاحظة ذلك إذا قارنا بين ما ورد فيه وفي كتب اللغة الأخرى، ويمثل على ذلك، فيقول: " فإن رأيت قضية من كتابي قد ساوت قضية من كتب أهل اللغة في اللفظ، أو قاربتها، فأقرن القضية بالقضية، يلح لك ما بينهما من مزية، إما بفائدة يحل موضعها، وإما بصورة عبارة يُلذُّ موقعها، كقول أبي عبيد: تَمَأَى الجلد تَمَنِيًا، مثال: تَمَعَى تَمَعِيًا، تَفَعَّلَ تَفَعَّلًا: إذا اتسع. وصلى الله على نبينا محمد القائل: إن من البيان لسحرا. وأين هذا من قولي بَدَل هذه العبارة: مَأَوْتُ الجلد ومَأَيْتُهُ ومَأَيْتُهُ، فَتَمَأَى... أولا نرى إلى اختصار هذه العبارة وإجادتها، وحمل مُرَكَّبها على البسيطة؟ إلى غير ذلك، مما لو تَقَصَّيْتَه لطالت به خطبة كتابي، وأكثر المتدرِّسون عليه عتابي، ولكنني أَقْتَصِر من ذلك على التمثيل، مُغْنِيًا به عن التفصيل".^(٢)

ولعل ابن سيده لشدة إعجابه بنفسه ورغبته في إظهار تميزه وتفوقه على معاصريه أثر فيه إتباع مدرسة العين رغم أن الحركة المعجمية بالمشرق كانت قد عرفت كتاب الصحاح للجوهري الذي هدم بناء الخليل، وظهر من يخلط بين الترتيب الألفبائي وتقليبات الخليل، مثل الجمهرة لابن دريد (٣٢١هـ)، والمقاييس لابن فارس (٣٩٥هـ)، وهذا قبل ظهور المحكم. ولعل ذلك يعود إلى أن ابن سيده كان متأثراً أشد التأثير بوالده إسماعيل بن سيده الذي أخذ عن أبي بكر الزبيدي، وكان من النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء، وأستاذه أبي بكر

(١) المحكم: م ١/ ص ٤٠.

(٢) المحكم: م ١/ ص ٣٨-٣٩.

الطلمنكي، وهما تلميذا الزبيدي الذي ألف مختصر العين وقام على مدرسة العين في الأندلس بعد وفاة أستاذه أبي علي القالي.

كما أنه برجوعه لطريقة الخليل وما فيها من صعوبة وتعقيد، لعله يريد أن يظهر تميزه بعلمه ونبوغه عن أقرانه وحساده، الذين أنكروا فضله ومكانته، فيقول في مقدمته: "وهل يقوم بانتقاء هذا النوع إلا مثلي، من ذوي الحفظ الجليل، والإطلاع بعلم النحو، وصناعة التحليل؟ وإن كنت بين حثالة جهلت فضلي وأساء الدهر في جمعهم بمثلي"^(١)

وقد يكون ذلك لكونه ضريراً، فهو يحاول أن يدافع عن ذاته، ويثبت تفوقه على معاصريه، بإحياء طريقة الخليل في الأندلس، مع أن المشاركة أنفسهم هجروها إلى طرق أسهل، بل ويسعى ابن سيده إلى مجارة السابقين بعلمه، ونقدمهم والرد عليهم، وتصويب أخطائهم؛ ليظهر بذلك فضله ومكانته وقدرته على المشاركة اللغوية مع تأخر عصره بتعقيباته، وتفضيله لرواية على أخرى، أو بيانه ما يلحقها من تصحيف، ومشاركته في الشرح والتفسير، وإكثاره من لملاحظاته النحوية والصرفية والعروضية. كما ويظهر ذلك من خلال كثرة اعتماده على المصادر المشرقية دون الأندلسية.

ولهذا كثيراً ما يشكو ابن سيده حاله وحال من مثله مع أهل زمانه وينظر إلى حاله وحال العلماء والقدماء وما كان لهم، فيرى أنه لا بد أن تكون حاله غير ما هي عليه، فيقول: "ثم إن الأيام عاضَتني من الرَّمضاء بالنار،... ولا يشاهد منهم إلا الخصومة والشذى، ولا يسمع منهم إلا تسعير كذا وكذا،... وأشدّ من ذلك ما يبُسُّونه بينهم من العقارب، وسيان في ذلك حال الأبعاد وحال الأقارب،... ولست أقول شيئاً من ذلك برّما بالمقدور، إنما هي أنّة

(١) المحكم: ١٣٩ ص ٣٩.

عليل، ونفثة مصدور، أو ليس من كانت هذه حاله، جديراً أن تلحق ذهنه الكهامة، وتكلل نفسه السامة؛ ولو تأملت ما كان عليه القدماء، من أهل اللغة والنحو أصحابي، من الثروة والعزة، وأنواع الجدة، لرأيت أخابير، وإن ظنه أهل بلدنا لنكادتهم كذباً وأساطير".^(١)

^(١) المحكم: م١/ص ٤٩-٥٠

الفصل الثاني

تحليل أبواب المحكم

قسم ابن سيده كتابه إلى الأبواب التالية:

١. الثنائي المضاعف الصحيح.
٢. الثنائي المضاعف المعتل.
٣. الثلاثي الصحيح.
٤. الثلاثي المعتل.
٥. الثلاثي اللفيف.
٦. الرباعي.
٧. الخماسي.
٨. السداسي .

وابن سيده لا يضبط في شرح مادته أنماطا معينة في كل مرة للفعل أو الاسم... ويمكن أن نلاحظ ذلك في قوله:

" (حرف اللام) (باب الثنائي المضاعف) (اللام والنون) (من خفيفه) [ل ن]^(١) لن: حرف ناصب للأفعال، وهو نفيٌ لقولك: سيفعل، وأصلها عند الخليل (لا) أن، فكثير استعمالها فحذفت الهمزة تخفيفاً، فالتقت ألف (لا) ونون (أن) وهما ساكنان، فحذفت الألف من (لا) لسكونها وسكون النون بعدها فصارت (لن) فخلطت اللام بالنون وصار لهما بالامتزاج والتركيب الذي وقع فيهما حكم آخر، يدلك على ذلك قول العرب: لن أضرب. فلو كان حكم لن المحذوفة الهمزة مَبْقَى بعد حذفها وتركيب النون مع لام (لا) قبلها كما كان قبل الحذف والتركيب...

(١) المحكم: م ١٠ / ص ٣٦١.

ألا ترى أن (لولا) مركبة من (لو) و(لا)، ومعنى لو: امتناع الشيء لامتناع غيره ومعنى (لا) النفي والنهي؛ فلما رُكِّبَا حدث معنى آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره؛ فهذا في أن بمنزلة قولنا: كأنَّ ومُصَحَّحٌ له ومؤنَّسٌ به وراذٌ على سببويه ما ألزمه الخليل من أنه لو كان الأصل (لا) (أن) لما جاز زياداً لن أضرب لامتناع جواز تقدم الصلة على الموصول وحجاجُ الخليل في هذا ما قدَّمنا ذكره؛ لأن الحرفين حدث لهما بالتركيب نحو لم يكن لهما مع الأفراد".

ومن تقسيمه للأبواب قوله:

من (باب الثلاثي الصحيح) (اللام والنون والفاء) "[ن ف ل]" ^(١) النَّفْلُ: الْغَنِيْمَةُ وَالْهَبَةُ، وَالْجَمْعُ: أَنْفَالٌ، وَنِفَالٌ، قَالَتْ جُنُوبُ أُخْتُ عَمْرُو ذِي الْكَلْبِ:

وقد عَلِمَتْ فَهْمٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ بِأَنَّهُمْ لَكَ كَانُوا نِفَالًا

نَفْلُهُ نَفْلًا وَأَنْفَلَهُ إِيَّاهُ وَنَفَلَهُ - بِالتَّخْفِيفِ وَنَفَلَ الْإِمَامُ الْجُنْدَ جَعَلَ لَهُمْ مَا غَنَمُوا. وَالنَّافِلَةُ: الْغَنِيْمَةُ؛ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ:

فَإِنْ تَكَ أَنْتَى مِنْ مَعَدٍّ كَرِيْمَةٍ عَلَيْنَا فَقَدْ أُعْطِيَتْ نَافِلَةٌ الْفَضْلِ

وَالنَّافِلَةُ: الْعَطِيَّةُ عَنْ يَدٍ. وَالنَّفْلُ وَالنَّافِلَةُ: مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ:

" وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ " [الإسراء ٧٩]

(١) المحكم: م ١٠٠/ ص ٣٨٠-٣٨١.

وَالنَّافِلَةُ: وَلَدُ الْوَلَدِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَالنَّوْفَلُ: الْعِطِيَّةُ. وَالنَّوْفَلُ: السَّيِّدُ الْمَعْطَاءُ، يُشَبَّهَانِ بِالْبَحْرِ، فَذَلِكَ هَذَا عَلَى أَنَّ النَّوْفَلَ الْبَحْرُ، وَلَا نَصَّ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَغْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يُصَرِّحُوا بِذَلِكَ كَأَن يَقُولُوا النَّوْفَلُ: الْبَحْرُ. وَالنَّوْفَلَةُ: الْمَمْلُوحَةُ ... وَنَوْفَلٌ وَنُفَيْلٌ: اسْمَانِ".

ومن اختلاط تنظيمه للأقسام: الفعل والاسم والمصدر يمكن النظر في^(١):

(حرف النون) (باب الثنائي المضاعف) " (النون والفاء)^(٢) - ثم يأتي بالرباعي - [ن ف ن ف] [النَفْنَفُ: الهواء، وكل شيء بينه وبين الأرض مَهْوًى نَفْنَفٌ، والنَّفْنَفُ: المفازة. والنَّفْنَفُ البعيد (عن كراع).

- ثم يذهب إلى - (مقلوبه) [ف ن ن] - وهذا من طبيعة نظام التقليلات - ويفسره بـ : الفن: الحال. والفن: الضرب من الشيء. - ثم يذكر الجمع - والجمع: أفنان، وفنون، وهو الأفنون. - ثم يذكر الفعل دون تحديد وعلى القارئ المتلقي أن يكون يقظا - وافتن: أخذ في فنون من القول. - ثم يكون جمع الفن - والفنون: الأخلاط من الناس. وإن المجلس ليجمع فنوناً من الناس، أي: ناساً ليسوا من قبيلة واحدة.

- ثم يفطن للفعل، مع ربطه المعنى بجمع الفن الفنون - وفنّ الناس: جعلهم فنوناً. - ثم على عادة المعاجم يذكر الماضي فالمضارع فالمصدر - وَفَنَّهُ يُفَنِّهِ فَنًّا: طرده. وَفَنَّهُ يُفَنِّهِ فَنًّا: عَنَاهُ، - ثم يأتي دور الشاهد، دون أن تعرف لماذا يأتي الشاهد هنا أو هناك - قال:

لَأَجْعَلَنَّ لَابْنَةَ عَمْرٍو فَنًّا حَتَّى يَكُونَ مَهْرُهَا دُھْنًا

(١) عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها، دار طلاس، ١٩٨٦، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) المحكم: ١٠م / ص ٤٦٢.

والفَنُّ: الغَبْنُ، - وانظر لعبارته القادمة كيف تستلحق ما فات القارئ الحضيف وتتاديه أن ينتبه
- والفعل كالفعل، والمصدر كالمصدر...

- باب الثنائي المضعف:

تضمن باب الثنائي المضاعف عددا من أضرب الكلام عند ابن سيده، وهي: الألفاظ
الأصيلة الثنائية، وألفاظ أسماء الحكايات، وثنائي الفعل المجرد المتمثل العين واللام (المشدد)،
وثنائي الاسم المجرد المضعف، وثنائي الاسم المجرد المكرر حرفه الثاني، وثنائي الفعل
الرباعي المكرر لحرفيه. ورتب الكلمات في باب الثنائي والثلاثي بحسب الحرف الثاني منها
لاتفاق الحرف الأول فيها دواما لأنه الحرف المعقود له الكتاب.

يذكر ابن سيده الثنائي المضعف إشارة للرباعي من تضعيف ما يقابله في الميزان، من
ذلك قوله^(١): "(ومما ضوعف من فائه ولامه) [ل ث ل ث]"^(٢):

- ويحولها إلى فعل - تَلَثَّثَ الغَيْمُ: تَرَدَّدَ، كُلَّمَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ ذَهَبَ جَاءَ. وَتَلَثَّثَ بِالْمَكَانِ: تَحَبَّسَ
وَتَمَكَّنَ. وَتَلَثَّثَ فِي الْأَمْرِ: تَرَدَّدَ. قَالَ الْكُمَيْتُ:

تَلَثَّثْتُ فِيهَا أَحْسِبُ الْجَوْرَ أَقْصَدَا

(١) المحكم: ١٠م / ١٣٢.

(٢) ومنه غير الرباعي مثل: (ومما ضوعف من فائه ولامه) [ل ي ل] اللَّيْلُ عَقِيبُ النَّهَارِ وَمَبْدُؤُهُ مِنْ غُرُوبِ
الشَّمْسِ فَأَمَّا مَا حَكَاهُ سَبْيُوهُ مِنْ قَوْلِهِمْ سَبَرٌ عَلَيْهِ لَيْلٌ وَهُمْ يُرِيدُونَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَإِنَّمَا حَذَفَ الصَّفَّةَ لِمَا دَلَّ مِنْ
الْحَالِ عَلَى مَوْضِعِهَا وَاحِدَتُهُ لَيْلَةٌ وَالْجَمْعُ لَيَالٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ تَوَهَّمُوا وَاحِدَتَهُ لَيْلَةً وَنَظِيرُهُ مَلَامِحٌ وَنَحْوُهَا مِمَّا
حَكَاهُ سَبْيُوهُ وَتَصَغِيرُهَا لِيُثَبِّتَ شَدَّ التَّحْقِيرِ كَمَا شَدَّ التَّكْسِيرُ هَذَا مَذْهَبُ سَبْيُوهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ. المحكم
١٠م / ٣٩٦.

هذا قولُ أبي عبيدٍ في المصنّف. وتلثت في أمره: أبطأ. وتلثت في حاجته، وتلث أبطأ وتمكّت. ورجلٌ تلث، وثلاثة بطيء. وتلث الرجل: حبسه. وتلثت في كلامه. لم يُبينه. وتلثت: موضع".

أو يذكر ابن سيدة فصلاً بعنوان: (الخاء والسين)^(١)، ويدرج تحته - من الأسماء -:
 "والدخنس: الجسيم الشديد اللحم. والدخنس: الضخم، مثل به سبيويه، وفسره السيرافي.
 والدخمس: الخب الذي لا يبين لك معنى ما يريد. وقد دخمس عليه. وتناء مدخمس،
 ودخماس: ليست له حقيقة. وقيل: هو الذي لا يُبين ولا يُجدّ فيه؛ أنشد ابن الأعرابي:

يَقْبَلُونَ الْيَسِيرَ مِنْكَ وَيُثْنُونَ نِ تَنَاءً مُدْخَمَسًا دَخْمَاسًا

- ويشير ابن سيدة إلى عدم تفسيره - لم يُفسره ابن الأعرابي".

وقد يبدأ ابن سيدة الثنائي بفعل، كقوله من باب (التاء والباء)^(٢): [ب ث ث] "بثَّ الشيء، يَبْثُهُ، وَيَبْثُهُ، بَثًّا، وَأَبْثَهُ فَاثْبَثَ: فَارَقَهُ فَتَفَرَّقَ وَكَذَلِكَ بَثَّ الْخَيْلَ [فِي الْغَارَةِ] يَبْثُهَا بَثًّا، فَاثْبَثْتُ. وَابْثَّ الْجَرَادُ فِي الْأَرْضِ: انْتَشَرَ. وَتَمَرَّ بَثٌّ: إِذَا لَمْ يُجَوِّدْ كَنْزُهُ، فَتَفَرَّقَ. وَقِيلَ: هُوَ الْمُتَنَثِّرُ الَّذِي لَيْسَ فِي جِرَابٍ، وَلَا وِعَاءٍ كَفَتْ... قَالَ أَبُو كَبِيرٍ:

ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَلَا أَبْنُوكَ حَبِيبَتِي رَعِشَ الْبَنَانِ أَطِيشُ مَشْيَ الْأَصُورِ

ويذكره بقوله: "ومما ضوعفت حروفه"، ويذكر حرف المضاعفة (الفاء أو العين أو

اللام)، ويسبق الصحيح المعتل، هكذا من:

(١) المحكم: ٥م/ص ٣٣٢.

(٢) المحكم: ١٠م/ص ١٣٤.

(حرف الباء) في (باب الثنائي المضاعف) ومنه (ومما ضوعفت حروفه)^(١)]

ب ب [:"بَبَّة": حكاية صوت صبي؛ قالت هند بنت أبي سفيان تُرْقِصُ ابْنَهَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْحَارِثِ: لَأُنْكَحَنَّ بَبَّةً جَارِيَةً خِدْبَةً مُكْرَمَةً مُحَبَّبةً تَجُبُّ أَهْلَ الْكَعْبَةِ أَي: تغلبُ نساءَ قُرَيْشٍ في حُسْنِهَا. وَبَبَّةٌ: لَقَبٌ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ويوصفُ به الْأَحْمَقُ. وَهُمْ عَلَى بَبَانٍ وَاحِدٍ، وَبَبَانٍ: أَي على طَرِيقَةٍ. وَأَرَى بَبَانًا مَحْذُوفًا مِنْ بَبَانٍ؛ لِأَنَّ فَعْلَانَ أَكْثَرُ مِنْ فَعَالٍ، وَهُمْ بَبَانٌ وَاحِدٌ؛ أَي: سَوَاءٌ. وَحَكَى ثَعْلَبٌ: النَّاسُ بَبَانٌ وَاحِدٌ: لَا رَأْسَ لَهُمْ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: هَذَا فَعَالٌ مِنْ بَابِ كَوَكَبٍ، وَلَا يَكُونُ فَعْلَانًا؛ لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ لَا تَكُونُ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. وَبَبَّةٌ يَرْدُ قَوْلَ أَبِي عَلِيٍّ.

- ثم يتبع:- (الباء والميم) [ب م م]: الْبَمُّ مِنَ الْعُودِ: مَعْرُوفٌ أَعْجَمِيٌّ. وَبَمٌّ غَيْرُ مَصْرُوفٍ: أَرْضٌ مِنْ كَرْمَانَ؛ قَالَ الطَّرِمَّاحُ:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ بَبَمٍّ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحُ

(ومما ضوعف من فائه وعينه) [ب م ب]: وَبَدَأَ بِالْمُضَاعَفِ: أَبْنَبُ وَبَبْنَبُ مَوْضِعٌ.

- ثم جاء دور- (الثنائي المضاعف من المعتل) (الباء والهمزة) [ب أ ب أ] - من عاداته ذكر الرباعي المضعف -: بَابَاتُ الرَّجُلِ وَبَابَاتُ بِهِ: قُلْتُ لَهُ: بَابِي، أَوْ بَابًا. وَقَالُوا: بَابًا الصَّبِيَّ أَبُوهُ، إِذَا قَالَ لَهُ: بَابِي. وَبَابَاهُ الصَّبِيُّ، إِذَا قَالَ لَهُ: بَابًا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: بَابَاتُ الصَّبِيِّ بَبَاءً: إِذَا قُلْتُ: بَابِي. قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ: سَأَلْتُ أَبَا عَلِيٍّ فَقُلْتُ: قَالُوا: بَابَاتُ الصَّبِيِّ بَابَاءً: إِذَا قُلْتُ لَهُ: بَابًا، فَمَا مِثَالُ الْبَابَاءِ عِنْدَكَ الْآنَ؟ أَتَرْنَهَا عَلَى لَفْظِهَا فِي الْأَصْلِ فَتَقُولُ: مِثَالُهَا الْبَقْبَقَةُ، أَمْ تَرْنَهَا عَلَى مَا هِيَ الْآنَ: فَتَقُولُ الْفَعْلَلَةُ بِمَنْزِلَةِ الصَّلَّصَةِ وَالْقَلْقَلَةِ؟ فَقَالَ: بَلْ أَزْنُهَا عَلَى مَا

(١) المحكم: ١٠م/ ص ٥٥٢-٥٥٣.

صَارَتْ إِلَيْهِ، وَأَتْرَكُ مَا كَانَتْ قَبْلُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ: الْفَعْلَةُ. قَالَ: وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ، وَبِهِ انْعِقَادُ هَذَا الْبَابِ.

- ويتابع ابن سيده فيقول: - وقال أيضاً: إِذَا قُلْتَ: بِأَبِي أَنْتَ، فالباءُ في أَوَّلِ الاسمِ حَرْفٌ جَرٌّ بِمَنْزِلَةِ اللامِ في قولك: اللَّهُ أَنْتَ. فإذا اشْتَقَقْتَ مِنْهُ فِعْلاً اشْتِقَاقاً صَوْتِيّاً اسْتِحَالَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ، فَقُلْتَ: بِأَبَاتُ بِهِ بِبَاءٍ، وَقَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْبَابَةِ، فَالْبَاءُ الْآنَ فِي لَفْظِ الْأَصْلِ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَحْطَيْنَا عِلْماً بِأَنَّهَا فِيمَا اشْتَقَّتْ مِنْهُ زَائِدَةٌ لِلْجَرِّ، وَعَلَى هَذَا اشْتَقَوْا مِنْهَا الْبَابَ فَصَارَ فِعْلاً مِنْ بَابِ سَلَسَ وَقَلَقَ... - ثم يذكر - (ومما ضوعف من فائه ولامه) [ب أ ب]: فَرَسٌ بُوبَ: قَصِيرٌ غَلِيظُ اللَّحْمِ فَسِيحُ الْخَطْوِ بَعِيدُ الْقَدْرِ". وهكذا...

وشملت أبواب الثنائي المضاعف في المحكم: الصحيح والمعتل، وهي بذلك تختلف عن بقية الأبواب قليلاً، إذ لم يملأها بالمقلوبات وحدها بل جعل فيها أقساماً خاصة بالثنائي المخفف مثل: "من"، "صه"، وبالمضاعف الفاء واللام مثل: "كعك"، و"هيه"، وبالمضاعف الفاء والعين... إلى جانب نثره للمضاعف الرباعي فيها، وهي الطريقة نفسها التي انتهجها الزبيدي.

يرد الثنائي عن ابن سيده وحده مخصصاً فيدل على صوت مثل (صه) أو حرف مثل (لن). وإذا ما ابتعد عنه جعله رباعياً مضعفاً فبدأ من (ل م) في (ل م ل م). وبدأ كثيراً بثلاثي الكلمة التي لا ثنائي لها وهو كثير عنده^(١). والثنائي هو البداية، ويليله الثلاثي

(١) قد يقتصر الثنائي عند ابن سيده كما عند غيره من المعجميين على: الأدوات والحكايات والزجر والنداء. فإذا تعدت ذلك تعدت للثنائي أو الرباعي. ومن الأصوات يكثر ابن سيده، ومن ذلك قوله: (ومن خفيف هذا الباب): "دج دج: دعاؤك بالدجاجة. (الجم والناء من الخفيف) [تج تج] تج تج: دعاؤك الدجاجة". المحكم، م٧ ص ١٩١. ومن اجتماع الثلاثي والرباعي معاً جاء عنده: (مقلوبه (ف ج ج) و(ف ج ف ج)): "(الفج: الطريق الواسع) في جبل أو في قبل جبل، وهو أوسع من الشعب. وقال ثعلب: هو ما انخفض من الطرق. وجمعه: فجاج، وافجة، الأخيرة نادرة... والفجج في القدمين: تباعد ما بينهما. وهو أقبح من الفجج. وقيل: الفجج في الإنسان: تباعد الركبتين، وفي البهائم: تباعد العرقوين. فجج فججاً، وهو أفجج. وفجج رجله وما بين رجله: فتحه وباعد ما بينهما.

الصحيح فالثنائي المعتل، ولا يتم الثنائي كاملاً، بل يهتم بإتمام الصحيح فالمعتل^(١) نظر كيف يدل على صوت ما، في قوله من: (باب الثنائي المضاعف من المعتل) (الفاء والهمزة) [ف أ ف أ]^(٢) الفأفأ: الذي يُكثَرُ تَرَدَادَ الفَاءِ إِذَا تَكَلَّمَ. والفأفأ: حُبْسَةٌ فِي اللِّسَانِ وَغَلَبَةُ الفَاءِ عَلَى الكلام. وقد فأفأ، ورجلٌ فأفأ، وفأفأ".

ومنه في (حرف الميم) (باب الثنائي المضاعف من المعتل) (الميم والهمزة)^(٣) [م أ م أ] "المأماة: حكاية صوت الشاة أو الظبي إذا وصلت صوتهما. (مقلوبه) (أ م م] الأم: القصد أمه يؤممه أمّا، وأتممه، وتأممه ويمه وتيممه الأخيرتان على البدل، قال:

فَلَمْ أَجِبْنِ وَلَمْ أَكُنْ وَلَكِنْ يَمَمْتُ بِهَا أَبَا صَخْرٍ بِنَ عَمْرٍو

ومن أمثلة ما ذكره للثنائي قوله^(٤) من: (حرف الراء) (الثنائي المضاعف) (الراء والنون) [ر ن ر ن]: "الرنّة، والرّنين، والإرنان: الصّيحة الشديدة. والصّوت الحزين عند الغناء، أو البكاء. رنّت رنيناً، ورننت ترينياً، وترّنيةً، وأرنت. وقيل: الرّنين: الصّوت الشّجيّ. والإرنان الشّديد، وأرنت القوس في إنباضها، والمرأة في نواحها، والحمامة في سجعها، والحمار في نهيقه، والسحابة في رعدّها، والماء في خريره. وقوس مرّن، ومرّنان، وكذلك

=وفاج: كذلك. ورجل مفج الساقين إذا تباعدت إحداهما من الأخرى، وفيما سب به جحل بن شكل الحارث بن مصرف بين يدي النعمان: "أنه لمفج الساقين قنعوا اليتيم". المحكم: م ٧ / ص ٢٢٢.

(١) من ذلك ما جاء عنده في (باب الثنائي المضاعف من المعتل) (التاء والهمزة) [ت أ ت أ]: "تأثأ الشيء عن موضعه: أزاله. وتأثأ الرجل عن الأمر: حبسه. وتأثأ عن الشيء: إذا أرادته ثم بدا له تركه، أو المقام عليه. وتأثأ عنه غضبه: أطفاه. وتأثأ الإبل: أرواها من الماء. وقيل: سقاها فلم ترو. وتأثأت هي. وتأثأ بالتيس: دعاها عن أبي زيد. (مقلوبه) [أ ت ت أ]: الأثأ، والأثأة، والأثوثة: الكثرة والعظم من كل شيء. أث يأث، ويث، ويؤث، أثا، وأثأته، فهو أث، مقصور. وعندي أنه فعل - وكذلك أثيث، والأثنى أثيثه، والجمع: إثأ، وأثأث. وشعر أثيث: غزير طويل. وكذلك الثبات، والفعل كالفعل... المحكم: م ١٠ / ص ١٧٠.

(٢) المحكم: م ١٠ / ص ٥٤٠.

(٣) المحكم: م ١٠ / ص ٥٧١.

(٤) المحكم: م ١٠ / ص ٢٢٧.

السَّحَابَةُ؛ ويُقالُ لها: المِرْنَانُ عَلَى أَنَّهَا صِفَةٌ غَلَبَتْ غَلْبَةَ الاسْمِ. وَيَوْمَ أَرُونَانَ: شَدِيدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَفْوَعَالٌ مِنَ الرِّئِينَ، فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. وَهُوَ عِنْدَ سِبْيَوِيهِ أَفْعَلَانٌ، مِنْ قَوْلِكَ: كَشَفَ اللَّهُ عَنْكَ رُؤْيَا هَذَا الْأَمْرِ، أَيْ غُمَّتَهُ، وَشَدَّتْهُ، وَسَيَّأَتْهُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

- ثم يتابع بعد (النون) حرف (الفاء: في الترتيب الصوتي) فيأتي: - (الراء والفاء) [ر ف ف]: رَفَّ لَوْهُ يَرِفُ رَفًّا وَرَفِيفًا: بَرَقَ، وَتَلَأَلَا. وَكَذَلِكَ: رَفَّتْ أَسْنَانُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيَّ لَمَّا أَنْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ " قَالَ: فَبَقِيَتْ أَسْنَانُهُ تَرِفُ حَتَّى مَاتَ.

ومن أمثله ما ذكره ابن سيده في فصل (الميم والواو) [م و م]^(١) " وَتُبْدَلُ مِنَ الْأَلِفِ - يَعْنِي فِي (مَا) - الْهَاءُ فَيُقَالُ (مَهْ) قَالَ الرَّاجِزُ - وَ لَا يَذْكُرُ اسْمَهُ -:

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكَنَةٍ

مِنْ هَا هُنَا وَمِنْ هُنَا

إِنْ لَمْ أَرَوْهَا فَمَهْ

قال ابن جني: يَحْتَمِلُ (مَهْ) هُنَا وَجَهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ (فَمَا) أَي: فَمَا أَصْنَعُ أَوْ فَمَا أَذْرِي وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ (فَمَهْ) زَجْرًا مِنْهُ، أَي: فَكُفِّ^(١) عَنِّي فَلَسْتُ أَهْلًا لِلْعِتَابِ، أَوْ فَمَهْ يَا إِنْسَانُ، يُخَاطَبُ نَفْسَهُ وَيَزْجُرُهَا..."

(١) المحكم: م ١٠ / ص ٥٧٩-٥٨٠.

ومنه (الياء والواو) [و ي]^(٢) "وَي: حَرْفٌ معناه التَّعَجُّبُ، ويُقال: وَيَكَّأَنَّهُ، ويُقال:

وَي بَكَ، وَوَي بَعْدَ اللَّهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَيَكُنُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ " [القصص ٨٢]

فَرَعَمَ سَيِّبَوِيهِ: أَنَّهَا وَي مَفْصُولَةٌ مِنْ كَأَنَّ؛ قَالَ: وَالْمَعْنَى وَقَعَ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ انْتَبَهُوا فَتَكَلَّمُوا عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِمْ، أَوْ نُبِّهُوا فَقِيلَ لَهُمْ: أَمَّا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ هَذَا كَهَذَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم. قَالَ: وَأَمَّا الْمُفَسِّرُونَ فَقَالُوا أَلَمْ تَرَ، وَأَنْشَدَ:

وَيَكَّأَنَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحِبُّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ

وقال ثعلب: بَعْضُهُمْ يَقُولُ: معناه: اعْلَمْ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: معناه: وَيَلَكَّ، وحكى أبو زيدٍ عَنِ الْعَرَبِ: وَيَكَّ بِمَعْنَى وَيَلَكَّ فَهَذَا يُقَوِّي مَا رَوَاهُ ثَعْلَبٌ^(٣).

ومما بدأ به مفردا قوله في (ومما ضوعف من فائه ولامه) [ي و ي]^(٤) "الياء، حَرْفٌ هِجَاءٍ، وهو حَرْفٌ مَجْهُورٌ يَكُونُ أَصْلًا وَبَدَلًا وَتَصْغِيرُهَا: يُوِيَّةٌ. وَقَصِيدَةُ يَأْوِيَّةٌ: عَلَى الْيَاءِ. وَقَالَ ثَعْلَبٌ: يَأْوِيَّةٌ وَيَأْنِيَّةٌ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ أَخَوَاتُهَا، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: يَبْيِيتُ يَاءً فَكَانَ حُكْمُهُ يَوَيْتُ، وَلَكِنَّهُ شَذَّ."

(١) من استخدامات الثنائي للزجر.

(٢) المحكم: م ١٠٣/ص ٦٠٣.

(٣) ترجيح لرأي ثعلب، بعد محاكمة الآراء. ومن أجمل استطراداته في أصوات ثنائية قوله: " فَإِنَّمَا بِيَهُ حِكَايَةُ الصَّوْتِ الَّذِي كَانَتْ تُرْقَصُ عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِاسْمٍ وَإِنَّمَا هُوَ كَقَبْ لَصَوْتٍ وَقَعَ السَّيْفُ وَطِيخٌ لِلضَّحِكِ وَدَدٌ لَصَوْتِ الشَّيْءِ يَتَدَخَّرُ فَإِنَّمَا هَذِهِ أَصْوَاتٌ لَيْسَتْ تُوزَنُ وَلَا تُمَثَّلُ بِالْفِعْلِ بِمَنْزِلَةِ صَهْ وَمَهْ ". المحكم: م ١٠٣/ص ٦٠٦.

(٤) المحكم: م ١٠٣/ص ٦٠٣.

ومن ألطف ما ذكر في الثنائي الخفيف - وهو من أساليبه التي يعنون بها فصوله - من حرف الواو، قوله: (حرف الواو)^(١) (الواو والألف) [و أ] " (وا) حَرْفٌ نُدْبَةٌ (الثنائي الخفيف) [و و] (وَو) حَرْفٌ هِجَاءٌ .

وجاء في ثنائي (الظاء والميم) مضاعفة الـ (ظ) (لتصبح [م ظ ظ]^(٢) "ماظَّهْ مُمَازَّةً وَمِظَازًا: خَاصَمَهُ وَشَاتَمَهُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مُقَابَلَةً".

كذلك في (باب الثنائي المضاعف من المعتل) (الظاء والهمزة) [ظ أ ظ أ]^(٣) "ظَاطًا ظَاطَاةً: وَهِيَ حِكَايَةُ بَعْضِ كَلَامِ الْأَعْلَمِ الشَّفَةِ، وَالْأَهْتَمِ الثَّنَايَا، وَفِيهِ غُنَّةٌ". وكذلك "البَغْبَغَةُ، والبَغْبَاغُ"^(٤): حِكَايَةُ بَعْضِ الْهَدِيرِ؛ قَالَ:

بِرَجْسٍ بَغْبَاغٍ الْهَدِيرِ الْبَهْبَه

والبُغْيَيْغُ، عَلَى لَفْظِ التَّصْغِيرِ: النَّتِيسُ مِنَ الطَّبَاةِ، إِذَا كَانَ سَمِينًا. وَمَشْرَبٌ بُغْيَيْغٌ: كَثِيرُ الْمَاءِ. وَمَاءٌ بُغْيَيْغٌ: قَرِيبُ الرَّشَاءِ؛ أَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

يَا رُبَّ مَاءٍ لَكَ بِالْأَجْبَالِ

أَجْبَالٌ سَلَمَى الشُّمُخِ الطُّوَالِ

بُغْيَيْغٌ يُنْزَعُ بِالْعُقَالِ

يعني أنه يُنْزَعُ بِالْعُقَالِ لِقَصْرِ الْمَاءِ؛ لِأَنَّ الْعُقَالَ قَصِيرٌ؛ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَذَلَمِيُّ:

(١) المحكم: ١٠م / ص ٦٠٤.

(٢) المحكم: ١٠م / ص ١٣.

(٣) المحكم: ١٠م / ص ٣٣.

(٤) المحكم: ٥م / ص ٣٧٦-٣٧٧.

فَصَيَّحَتْ بُغْيَغًا تَعَادِيَهُ

ذَا عَرْمَضَ تَخَضَّرَ كَفُّ عَافِيَهُ "

- باب الثلاثي:

ذكر ابن سيده بعد الثنائي في كل حرف بابا للثلاثي وقسمه إلى صحيح ومعتل ولفيف، ومنه ما جاء في فصل (التاء والميم والياء) [ت ي م]^(١) - اسم - "التَّيْمُ: أَنْ يَسْتَعْبِدَ الْهَوَى، وَقَدْ تَامَتْهُ الْمَرْأَةُ تَيْمًا، وَتَيْمَتُهُ. وَالتَّيْمُ: الْعَبْدُ، وَتَيْمُ اللَّهِ مِنْهُ. كَمَا تَقُولُ: عَبْدُ اللَّهِ. وَتَيْمٌ: قَبِيلَةٌ. وَفِي الْعَرَبِ بَنُو تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَبَنُو تَيْمٍ بِنِ غَالِبٍ وَمِنْهُمْ تَيْمُ الْأَذْرَمِ مِنْ قُرَيْشٍ. وَبَنُو تَيْمٍ: بَطْنٌ مِنَ الرَّبَابِ... فَأَمَّا قَوْلُهُمُ: التَّيْمُ، فَإِنَّمَا أَدْخَلُوا اللَّامَ عَلَى إِرَادَةِ التَّيْمِيِّينَ، كَمَا قَالُوا: الْمَجُوسَ وَالْيَهُودَ، قَالَ جَرِيرٌ:

والتَّيْمُ الْأُمُّ مَنْ يَمْشِي وَالْأُمُّه
تَيْمٌ بَنُ ذُهْلُ بَنُو السُّودِ الْمَدَانِيسِ

والتَّيْمَةُ: الشَّاةُ تُذْبَحُ فِي الْمَجَاعَةِ. وَالْإِتْيَامُ: ذَبْحُهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْهَمْزِ^(٢).

وقد يبدأ ابن سيده بالتقليبات في الثلاثي الصحيح، وقد يؤخرها ويذكر تصريفات الفعل إذا أخرج التقليبات، من ذلك قوله في باب^(٣): (الكاف والطاء والميم): "كظم غيظه يكظمه كظما: رده وحبسه، وقوله عز وجل: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس " [آل عمران: ١٣٤]

(١) المحكم: ٩م / ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٢) لا يكرر ابن سيده، ويرشد القارئ إلى تقدم معنى الكلمة.

(٣) المحكم: ٦م / ص ٧٨٥.

فسره ثعلب فقال: يعني: الحابسين الغيظ لا يجازون عليه. وكظم البعير على جرتة: إذا ردها، وكف عن الاجترار. وناقاة كظوم: لا تجتر. كظمت تكظم كظوماً. والكظم: مخرج النفس. وأخذ بكظمه: أي بحلقه. وقيل: بفمه، عن ابن الأعرابي. وأخذ الأمر بكظمه: إذا غمه. وقول أبي خراش:

وكل امرئ يوماً إلى الله صائر قضاءً إذا ما كان يؤخذ بالكظم

أراد: الكظم، فاضطر، وقد دفع ذلك سيبويه - كما يقول ابن سيده - فقال: ألا ترى أن الذين يقولون في فخذ فخذاً وفي كبد كبدًا لا يقولون في جمل جملاً. ورجل مكظوم، وكظيم: مكروب قد اخذ الغم بكظمه. وفي التنزيل: " ظل وجهه مسوداً وهو كظيم " النحل: ٥٨، والزخرف: ١٧.

والكظوم: السكوت. وقد كظم يكظم. وكظم على غيظه يكظم كظماً، فهو كاضم، وكظيم: سكت. وفلان لا يكظم على جرتة: أي لا يسكت على ما في جوفه حتى يتكلم به". ويذكر ابن سيده الاسم مرة ومرة يذكر الفعل بعد تحديده للفصل والباب، ومن ذكره للاسم، قوله من: (باب الثلاثي الصحيح) (الثاء والراء والنون)^(١) [ر ث ن]: "الرَّثَانُ قَطَارُ الْمَطَرِ يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سُكُونٌ، أَقَلُّ مَا بَيْنَهُنَّ سَاعَةٌ، وَأَكْثَرُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ. وَقَدْ رَثَّتِ الْأَرْضُ. كُلُّ ذَلِكَ عَنْ كُرَاعٍ. وَالْقِيَاسُ رُثِتَتْ، كَطُلَّتْ، وَبُعِثَتْ، وَرُثِتَتْ، وَطُشِتَتْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

- ثم يذكر - (مقلوبه: أي [ر ث ن]) وهو [ن ث ر] النَثْرُ رَمَيْكَ الشَّيْءَ مُتَفَرِّقًا. نَثَرَهُ يَنْثَرُهُ، وَيَنْثَرُهُ نَثْرًا، وَنَثَارًا. وَنَثَرَهُ فَاَنْثَرَهُ، وَتَنَثَّرَ، وَتَنَثَّرَ. وَالنَّثَارَةُ: مَا تَنَثَّرَ مِنْهُ. وَخَصَّ

(١) المحكم: ١٠٠م / ص ١٣٧.

اللَّحْيَانِيُّ بِهِ مَا يَنْتَثِرُ مِنَ الْمَائِدَةِ فَيُؤْكَلُ، وَيُرْجَى فِيهِ الثَّوَابُ. وَقَالَ مَرَّةً: نُثَارَةُ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَنَحْوَهُمَا: مَا انْتَثَرَ مِنْهُ. وَشَيْءٌ نَثَرَ: مُنْتَثِرٌ، وَكَذَلِكَ الْجَمِيعُ. قَالَ:

حَدَّ النَّهَارِ تَرَاعِي ثِيرَةً نَثَرَا "

ومن أمثلته التي توضح أسلوبه في تقديمه الثلاثي قوله في: (باب الثلاثي الصحيح) من حروف (الكاف والجيم والسين) ^(١) وأول ما يذكر الاسم ولا يشترط ذكر الفعل. فذكر: "الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه. وقال الأصمعي: هو الناقص الأسنان، قال سيبويه: أصلها بالفارسية: كوزه. والكوسج: سمكة في البحر تأكل الناس، وهي اللُّخْمُ".

وجاء عند ابن سيده الثلاثي المعتل بعد الثلاثي الصحيح، ويتدرج من الثنائي الصحيح، فالثلاثي الصحيح، فالثنائي المعتل، فالثلاثي المعتل. ومن أمثلة الثلاثي المعتل عنده ما جاء من ذكره لـ: (باب الثلاثي المعتل) (الذال والراء والهمزة) [ذراً]: ^(٢) "ذراً الله الخلق يذروهم ذراً: خلقهم. وفي التنزيل: "يذروكم فيه" [الشورى ١١]. قال ثعلب معناه: يُكثِرُكُمْ فِيهِ، أَي: فِي الْخَلْقِ. قَالَ: وَالذَّرِيَّةُ، وَالذَّرِيَّةُ مِنْهُ. وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَهْمُوزَةً، فَكَثُرَتْ، فَأَسْقَطَ الْهَمْزُ. وَذَرَأْنَا الْأَرْضَ: بَذَرْنَاهَا. وَزَرَعُ ذَرِيٍّ. وَالذَّرَاءُ الشَّمْطُ. وَقِيلَ: أَوَّلُ بَيَاضِ الشَّيْبِ. ذَرِيٌّ ذَرَاءٌ، وَهُوَ أَذْرَأُ، وَالْأُنْثَى: ذَرَاءٌ. وَكَبِشُ أَذْرَأُ، وَنَعَجَةُ ذَرَاءٌ: فِي رُؤُوسِهِمَا بَيَاضٌ. وَالذَّرَاءُ مَنْ الْمَعَزِ: الرَّقْشَاءُ الْأُذُنَيْنِ وَسَائِرُهَا أَسْوَدٌ. وَمِلْحُ ذَرَانِيٍّ: شَدِيدُ الْبَيَاضِ. وَأَذْرَاهُ: أَغْضَبَهُ، وَأَوَّلَعَهُ بِالشَّيْءِ".

(١) المحكم: ٦م / ص ٦٧٥.

(٢) المحكم: ١٠م / ص ٩٣.

ومن أمثلة الثلاثي المعتل عنده ما جاء من ذكره للفعل (الثلاثي المعتل)، (الخاء والجيم والهمزة)^(١)، فقال:

"خجأ المرأة يَخْجُوها خَجْنًا: نكحها. ورجل خُجَأ: كثير النكاح. وفحل خُجَأ: كثير الضراب. قال اللحياني: وهو الذي لا يزال قاعياً على كل ناقة".

وذكره ابن سيده في (باب الثلاثي المعتل) (الفاء والميم والهمزة)^(٢) [ف أ م]، "الفنم: وطاء يكون للمشاجر، وقيل: هو الهودج الذي وسع أسفلهُ بشيء زيد فيه، وقيل: هو عكم مثل الجوالق صغير الفم، يُعطى به مركب المرأة، يُجعل واحد من هذا الجانب وآخر من هذا الجانب؛ قال لبيد:

وَأَرَبْدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا تَقَعَّرَتِ الْمَشَاوِرُ بِالْفَنَامِ

والجمع فؤم. وفام الهودج وأفامة: وسع أسفلهُ؛ قال زهير:

عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ مُفَامٍ

ويروى: ومفام. والمفامة من المزاد التي توسع بجلد ثالث بين الجلدين كالرأوية.

ومنه أيضا (باب الثلاثي المعتل)^(٣) (الباء والميم والياء) [م ي ب] "الميينة: شيء من الأدوية، فارسية. (الباء والميم والواو) [ب و م] البوم: ذكور الهام، واحدته بومة".

(١) المحكم: م/٥ ص ٢٢٨.

(٢) المحكم: م/١٠ ص ٥٤٥.

(٣) المحكم: م/١٠ ص ٥٥٧.

ويتابع ابن سيده الثلاثي باللفيف ويبدأه بلفيف الثنائي، وقد يكون اسماً صريحاً، أو حكاية صوت أو غير ذلك كعادته في كل باب بدأه، وقد يعد الصحيح والعلة المضعف من اللفيف، كما يعد حرف العلة الصحيح وحرف الصحيح المكرر من اللفيف. ويعد من اللفيف تكرار الرباعي من حرف صحيح وآخر معتل، ثم إنه يلتزم بنظام التقليلات في محاولة حصر مادة اللفيف ولا يحيد عنه، مثل قوله من^(١): (باب الثلاثي اللفيف) (الثاء والهمزة والياء) [ث أي :] "الثَّأْيُ، والثَّأْيُ - جميعاً -: الإفسادُ كُلُّهُ. وَقِيلَ: هِيَ الجِرَاحَاتُ، والقَتْلُ، ونَحْوُهُ من الإفسادِ. وأَثَأْيَ فِيهِمْ: قَتَلَ وَجَرَحَ. والثَّأْيُ، والثَّأْيُ: خَرَزَ الأَدِيمَ: وقالَ ابنُ جَنِّي: هو أَنْ تَغْلُظَ الإِسْفَى، وَيَدِقَّ السَّيْرُ. وقد ثَنَّى يَثْنَى، وثَأَى يَثْأَى، وأَثَأَيْتُهُ أَنَا.

قال ذو الرُّمَّة :

وَفَرَاءَ غَرْفِيَّةٍ أَثَأَى خَوَارِزَهَا مُشَلَّشٌ ضَيْعَتُهُ بَيْنَهَا الْكُتُبُ

- ويذكر - (مقلوبه: أي: ث أي) : [أ ث ي] أَثَيْتُ عَلَيْهِ، وَبِهِ أَثْيَا وَإِثَايَةً: وَشَيْتُ بِهِ، وَسَعَيْتُ بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ.

- ويتابع الواو بعد الياء:- (الثاء والهمزة والواو) [ث أ و] : الثَّأْوَةُ : المَهْزُولَةُ من الغَنَمِ . وَالثَّأْوَةُ : بَقِيَّةُ قَلِيلٍ من كَثِيرٍ . ويذكر (مقلوبه: أي: ث أ و) [أ ث و] : أَثَوْتُ الرَّجُلَ، وَأَثَوْتُ بِهِ، وَعَلَيْهِ أَثَوَا، وَإِثَاوَةٌ: وَشَيْتُ بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ. وَقِيلَ: وَشَيْتُ بِهِ عِنْدَ مَنْ كَانَ. وقد تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي الْيَاءِ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَأْنِيَّةٌ، وَأَوِيَّةٌ^(٢).

(١) المحكم: م ١٠/ ص ٢٢٢ .

(٢) لا يكرر ما قاله عن جذر.

ويبدأ ابن سيده بالحرف المتناول في لفظ الباب، انظر ما جاء عنده في (باب الثلاثي اللفيف) (الفاء والهمزة والياء) : [ف أ ي]^(١). "فَأَيْتُ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ فَأَيًّا: فَلَقْتُهُ. وَالْانْفِيَاءُ: الْانْفِرَاجُ. وفَأَيْتُ الْقَدَحَ فَانْفَأَى، وفَأَيْتُهُ فَتَفَأً: صَدَعْتُهُ فَتَصَدَّعَ. والفئة: الجماعة من الناس، من ذلك. والجمع فَنَاتٌ وفِنُونٌ". على ما يطرّد في هذا النحو. ويلتزم بنظام التقليلات...

ونذكر من باب (الثلاثي اللفيف) من [و ي و]^(٢) - ويعرف ابن سيده بالصوت، فيقول: - "واوٌ: حَرْفٌ هِجَاءٍ، وَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ وَاوٍ وَيَاءٍ وَوَاوٍ، وَهِيَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ، يَكُونُ أَصْلًا وَزَائِدًا وَبَدَلًا؛ فَالْأَصْلُ نَحْوُ: وَرَلٍ وَسَوَطٍ وَدَلَوٍ، وَتُبْدَلُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، وَهِيَ: الْهَمْزَةُ وَالْأَلِفُ وَالْيَاءُ؛ فَأَمَّا إِبْدَالُهَا مِنَ الْهَمْزَةِ فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرِبٍ، أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ أَصْلًا، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ بَدَلًا، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً؛ أَمَّا إِبْدَالُهَا مِنْهَا وَهِيَ أَصْلٌ، فَأَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ مَفْتُوحَةً وَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ، فَمَتَى آثَرَتْ تَخْفِيفَ الْهَمْزَةِ فَلَبَّتْهَا وَاوٌ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي جُونٍ: جُونٌ، وَفِي تَخْفِيفٍ هُوَ يَضْرِبُ أَبَاكَ: هُوَ يَضْرِبُ وَبَاكَ؛ فَالْوَاوُ هُنَا مُخْلَصَةٌ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ بَقِيَّةِ الْهَمْزَةِ".

وهكذا فابن سيده يذكر في مطلع كل باب عنده، ما يشير إلى حرف بابيه أولاً حسب الترتيب الصوتي، ثم يلصق بالباب حرفاً آخر، ويشكل ثلاثيه حسب ترتيب الهجاء، كما في قوله^(٣): (أبواب العين والدال) : (العين والدال والتاء) "عتد الشيء عتادا فهو عتيد: جسم. والعتيدة: وعاء الطيب ونحوه، منه. وأعتد الشيء: أعدّه، وحكى يعقوب أن تاء أعتدته بدل من دال أعددته".

(١) المحكم: م ١٠ ص ٥٤٧.

(٢) المحكم: م ١٠ ص ٦٠٤.

(٣) المحكم: م ٢ ص ٣.

كما أنه يذكر ابن سيده المترادف اللفظي ليشير إلى أهمية الحركة في تأثيرها بالمتغير اللفظي؛ لأنه - ربما - يشير إلى الدلالة اللغوية والدلالة المعنوية، ويتضح في قوله من باب^(١): (العين والdal والميم):

"الْعَدَمُ وَالْعُدْمُ وَالْعُدْمُ: فقدان الشيء، وقد غلب على فقد المال وقلته. عَدَمَهُ عَدَمًا وَعُدْمًا. وأعدمه غيره. وأعدمني الشيء: لم أجده، قال لبيد:

ولقد أعدو وما يعدمني صاحب غير طويل المحتبل

يعني فرسا، والمحتبل: موضع الحبل فوق العرقوب، وطول ذلك الموضع عيب. وأعدم إعدامًا وعُدْمًا: افتقر..."

- باب الرباعي:

ذكر ابن سيده في الرباعي مضعف الثنائي الصحيح أو المعتل، و يكون في المقلوب أو سواه، ويبدأه غالبا باسم، وقلما يبدأه بفعل، أو جملة، من ذلك ما ذكره من مقلوب (خ و خ) الفعل الرباعي (وخ وخ) ومن معانيه - من فصل خ و خ -^(٢): "الوَخُوخَةُ: حكاية بعض أصوات الطير. ورجلٌ وَخَوَاحٌ: سَمِينٌ كثير اللحم مُضطربه. وقيل: هو الجبان الضعيف. وَتَمَرٌ وَخَوَاحٌ: لا حلاوة له ولا طعم. وقيل: مُسترخي اللَّحَاء. وكل مسترخٍ: وَخَوَاحٌ."

(١) المحكم: ٢م / ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) المحكم: ٥م / ص ٢٢٨ .

وقد يسبق ذكره الرباعي ذكره الثلاثي لتوضيح فكرة التضعيف، كما في ذكره من ثنائي (الشين واللام) ذكر الثلاثي [ش ل ل] والرباعي [ش ل ش ل]^(١): "الشلل: يبس اليد. وشلت يده تشل شلا، وشللا، قال اللحياني: شل عشره وشل خمسه، قال: وبعضهم يقول: شلت، قال: وهي أقل، يعني أن حذف علامة التأنيث في مثل هذا أكثر من بقائها، وأنشد:

فشلت يميني يوم أعلو ابن جعفر وشل بناناها وشل الخناصر

هكذا أنشده بإثبات العلامة في (شلت يميني) وبحذفها في (شل بناناها).

رجل أشل، وقد أشل يده. ولا شللا، ولا شلال، مبينة كحذام: أي تشل يدك. والشلل في الثوب: أن يصيبه سواد أو غيره فإذا غسل لم يذهب. الشليل: مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرجل، قال جميل:

تتج أجيج الرجل لما تحسرت مناكبها وابتز عنها شليلها "

ويذكر الرباعي كاملاً بعد انتهاء الثلاثي بالترتيب الذي اعتمده في الأصوات، ومن طبيعة الرباعي أنه يتكون من فاء وعين الكلمة، فيذكرهما ابن سيده ويروس بهما صفحته، ومنه قوله: من (العين والهاء في الرباعي)^(٢):

"رجل هبقع [وهبنقع] وهباقع: قصير ملرز. والهبنقع: المزهو الأحمق، والأنثى بالهاء. واهبنقع: جلس جلسة المزهو... والهمقع والهمقع: ضرب من ثمر العضاه. وخص بعضهم به جنى التنضب وهو من العضاه واحدته همقعة، عن ثعلب حكاه عن أبي الجراح.

(١) المحكم: م٧/ص ٦١٦.

(٢) المحكم: م٢٠/ص ٣٨٦.

وقال كراع [هو] التتضب بعينه وحكى الفراء عن أبي شبيب الأعرابي أن الهمقع والهمقعة: الأحق والحمقاء، وهذا لا يطابق مذهب سيوييه... " وهو بذلك يحاكم آراء من سبقه من اللغويين.

ويعنون ابن سيده بحرفين ويذكر كلمات لا تلتزم بالفاء، ونلاحظ قلة التقليلبات، وكثرة الآراء في الرباعي، وتدخله الكثير في ترجيح حكم على آخر. ولا ينوه ابن سيده بالحرف الثالث والرابع، وتبدو قلة الشواهد عنده. ولا يوجد وفرة في الاشتقاق في باب الرباعي كما في باب الثنائي أو الثلاثي عمدة المعجم وتقليباته.

ونجد ذلك في قوله^(١): "العنفك: الأحق، وامرأة عنفك وهو عيب. والعنفك: الثقيل الوخم. والعنكبوت: دويبة تنسج في الهواء مؤنثة وربما ذكر في بعض الشعر... - إذ تكثر شواهد منقولة لشعراء غير مشهورين عنده، كما يكثر الاستشهاد بالشطة دون الشطرتين - . وأما قوله - دون نسبة - :

كأن نسج العنكبوت المرملة

فإنما ذكر لأنه أراد النسج، ولكنه جره على الجوار. والجمع عنكبوتات وعناكب عن اللحياني، وتصغيره عنكب وعنيكب، وهي بلغة اليمن عكنابة..."

(١) المحكم : ٢م/ص ٤٢٣ .

- باب الخماسي:

طبق ابن سيده على الخماسي مبدأ القرابة بالنحت، لأنه يذهب إلى أن ما زاد على الثلاثة أكثره [على الغالب الشائع بين العلماء] منحوت وليس أصلاً، والخماسي لا يكون في الفعل إلا بالزيادة، ومن الاسم هو أكثر شيوعاً.

ومنه قوله^(١): (الخماسي) [أ ط ر ب ن]: "الأطربون من الروم: الرئيس منهم، وقيل: المقدم في الحرب، قال عبد الله بن سبرة الحرشي:

فإن يكن أطربون الروم قطعها
فإن فيها بحمد الله منتفعاً

قال ابن جنّي: هي خماسية كعضرفوط ."

ومن باب الخماسي عنده: "الكشملخ".^(٢) بصرية: الملاح، حكاها أبو حنيفة، قال: واحسبها نبطية؛ قال: واخبرني بعض البصريين أن الكشملخ: الينمة. والخزرق: ذكر العناكب. والخزراق: ضرب من الثياب، فارسي. والخدرق، والخدق: ذكر العناكب. والخبرنج: الناعم البض؛ والأنثى بالهاء. وقيل: الخبرنجة من النساء: الحسنه الخلق الضخمة القصب. وقيل: هي اللحمة الحادة الخلق في استواء. وقيل: هي العظيمة الساقين. وخلق خبرنج: تام. والخشفير: الداهية. والشمختر: اللئيم. والصلخدم: الجمل الماضي. وتمر خندريس: قديم. وكذلك حنطة خندريس. والخندريس: الخمر القديمة. قال ابن دُرَيْد: احسبه مغرباً. وناقاة خندلس: كثيرة اللحم. ودختنوس: اسم امرأة. وقال: دختنوس. وتختنوس.

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٦١.

(٢) المحكم: ٥م / ص ٣٤٧.

والدَّرْخَبِيل: من أسماء الداهية. الدَّرْخَمِيل: الثقيل من الرجال. والدَّرْخَمِين، من أسماء الداهية، كالدَّرْخَبِيل. والدَّرْخَبِين: الضخم من الإبل؛ عن السيرافي.

وإذا تتبنا الخماسي في باب كامل، ما نجده كما يأتي^(١): "الهندلع: بقلة، عن كراع. والخزعبل والخزعبل: الباطل. وتيس خبعثن: غليظ شديد... والقبعثري أيضا: الفصيل المهزول، قال بعض النحويين:^(٢) ألف قبعثري قسم ثالث: من الألفات الزوائد في أواخر الكلم لا للتأنيث ولا للإلحاق. والقرعبلانة: دويبة عريضة محبظية وهو مما فات الكتاب من الأبنية، إلا أن ابن جني^(٣) قد قال، كأنه قرعبل. ولا اعتداد بالألف والنون بعدهما، على أن هذه اللفظة لم تسمع إلا في كتاب العين. والجنعدل: التارُّ الغليظ من الرجال... والإصْفَعْنَدُ: من أسماء الخمر. قال أبو المبيع الثعلبي:

لَهَا مَبْسَمٌ شَخْبٌ كَأَنَّ رُضَابَهُ بُعِيدَ كَرَاهَا إِصْفَعْنَدٌ مُعْتَقُ

ويقول ابن سيده بأنه ما سمع بهذا الحرف من أحد غيره. وأنه رآه في شعره بخط ابن قطرب، وإنما أثبتته في الخماسي، ولم يحكم بزيادة النون لأنه نادر لا مادة له ولا نظير في الأبنية المعروفة، والأحرى به أن يكون في الخماسي كإنقحل في الثلاثي.

وهكذا يكون ذكره للخماسي هو النهائي من الأفعال والأسماء، وفي الخماسي لا يشير ابن سيده للحرف ولا يعنون به. و يبدأ بالاسم، وقلما يبدأ بالفعل. ولا يلتزم بترتيب الحروف كما في الرباعي، ولا يلتزم بفاء الكلمة المتحدث عنها، فتأتي الكلمات على غير ترتيب، وهذا

(١) المحكم: ٢م/ص ٤٦٩ - ٤٧٠.

(٢) لا يسمهم.

(٣) يستشهد به كثيراً، ويثق بكلامه.

سر إغائه التبويب. والخماسي باب قليل الموارد وشحيح الشواهد ودوره ينحصر في التوسع اللغوي. ومن الغريب عدم ظهور الثقليات على ما ظهرت فيه في الثلاثي عند الخماسي. وهذا غريب، وأظن أن مرده لواقع الاستعمال عند العرب! وقد كثر إتباع ابن سيده في الخماسي لمن سبقه واستشهاداته بآرائهم...

أما لألفاظ السداسية فلا يفرق ابن سيده فيها بين بناء الفعل أو الاسم، ويأتي من الكل باسم الفاعل أو اسم المفعول أو المصدر أو أي مشتق ورد في لغة العرب من أصل الجذر المتحدث عنه، ولا يفرد للسداسي فصلاً خاصاً معنونا؛ لأنه مزيد، فيأتي درج الكلام.

ومن أمثله للفعل السداسي: "اسْتَطَارَتِ الزُّجَاجَةُ"^(١): تَبَيَّنَ فِيهَا الانْصِدَاعُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. واسْتَطَارَ الحَائِطُ: انْصَدَعَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، واسْتَطَارَ فِيهِ الشَّقُّ: ارْتَفَعَ. ومما ذكره من السداسي على صيغة اسم الفاعل، قوله: "والمُسْتَمِيتُ"^(٢) الشُّجَاعُ الطَّالِبُ لِلْمَوْتِ، على حدٍّ ما يجيءُ عليه بعض هذا النحو. واسْتَمَاتَ الرَّجُلُ: ذَهَبَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ كُلِّ مُهَذَّبٍ، قال:

وَإِذْ لَمْ أُعْطَلْ قَوْسَ وَدِّي وَلَمْ أُضْعَ سِهَامَ الصَّبِيِّ لِلْمُسْتَمِيتِ الْعَفَنَجِ

ويعني: الذي قد استمات في طلب الصبي واللهو. كل ذلك عن ابن الأعرابي.

ومن الأعلام الأعجمية، "إِسْمَاعِيلُ وَإِسْمَاعِينُ"^(٣): اسمان. والعندليب: طائرٌ يُصَوِّتُ أَلْوَانًا.

(١) المحكم: ٩م / ص ٢١٤.

(٢) المحكم: ٩م / ص ٥٤٥.

(٣) المحكم: ٢م / ص ٤٧١.

ومما ذكره من ألفاظ أعجمية قوله: "القُسْنَطَاسُ"^(١): صلابة الطَّيِّب، روميّة. وقال ثعلب:

إنما هو القُسْنَطَاسُ، وأنشد:

رُدِّيْ عَلَيَّ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً كَالْقُسْنَطَاسِ عَلاهَا الْوَرْسُ وَالْجَسَدُ

والقَرَصُطُونُ: الفقَّار، أعجمي؛ لأن "فَعْلُولًا" و "فَعْلُونًا" ليسا من أبْنِيَتِهِمْ. والدُّرْدَاقِسُ: عظم الفقَّاء،

قيل فيه: إنه أعجمي، وقال الأصمعي: أحسبه روميًّا، قال: وهو طرف العظم الناتيء فوق

القفاء، أنشد أبو زيد:

مَنْ زَالَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَزَايَلَتْ بِالسَّيْفِ هَامَتُهُ عَنِ الدُّرْدَاقِسِ

والْأَنْقَلِيسُ، وَالْأَنْقَلِيسُ: سمكة على خلقة حيّة، وهي عجمية. وزُرْمَانِقَةٌ: جُبّة من صوف، وهي

عجمية". "وَالسَّيْسَنْبَرُ"^(٢): الرِّيحَانَةُ التي يقال لها النَّمَامُ، وقد جَرَى في كلامهم، وليس بعَرَبِيٍّ

صحيح؛ قال الأعشى:

لَنَا جُلْسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ وَسَيْسَنْبَرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُنْمَمًا "

(١) المحكم: ٦م / ص ٦٣٤-٦٣٥.

(٢) المحكم: ٨م / ص ٦٥٦.

الفصل الثالث

مصادر المحكم وشواهد

مصادر ابن سيده في المحكم

تبين من خلال مقدمة ابن سيده عنايته أولاً: بأسماء كتبه، فيشير إلى كتابه الموسوم "بالوافي في أحكام علم القوافي"، ويرى أنه يحوي ما ليس في غيره! كذلك عنايته بالطريف من كلام أهل اللغة. ثانياً: ويبين خطأ من سبقه، مثل الذي أبانه في تعليقه صحة قولنا (أخطيت) بدلاً من (أخطأت) ونحوه. وثالثاً: أنه عالٍ على من سبقه، بتفوقه مثلاً على أبي عبيد وابن السكيت وغيرهما من متأخري اللغويين، وكذلك تفوقه على المتقدمين.

مثل تعليقه على قول ابن الأعرابي في كتابه الموسوم بالنوانر: "ومما يهمز ويخفف قولهم: هاوَأْتُهُ وهاوَيْتُهُ، وذَنْبٌ وذَيْبٌ، فخلط البدلي وهو هاوَيْتُهُ، بالقياسي وهو ذَيْبٌ. وقد نحا أبو عبيد في كتابه الموسوم "بالمصنّف" هذه المنحاة التي نحاها ابن الأعرابي، وأين أغرب من اعتداد أبي عبيد (الميزاب) لغة في (المئزاب)، مع أن العرب لم تجمعها إلا على (مَازيب)، ولو كان الميزاب لغة وضعية، أو تخفيفاً بدلياً، لقل في جمعه: ميازيب، أو موازيب، فكون لم يقولوا ميازيب، دليل على أن (ياء) ميازيب هي (همزة)".^(١)

ويبدو أن ابن سيده لم يقتصر في تحصيله للعلوم وتأليفه فيها على علوم اللغة العربية وحدها، شأنه في ذلك شأن أغلب علماء المسلمين المتقدمين؛ فكان أيضاً متوفراً على علوم الحكمة والمنطق، تلك التي كانت ذائعة الصيت في ذلك الوقت، وقد قال عنه القاضي الجباني في ذلك إنه كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة، وألف فيها تأليفات كثيرة، وقد وصفه صاعد اللغوي بأنه من حُذّاق المنطق، وقال فيه ابن قاضي شهبه في

(١) المحكم: ١م/ص ٤٠-٤١.

طبقاته: ومن وقف على خطبة كتاب المُحَكَّم علم أنه من أرباب العلوم العقلية، وكتب خطبة كتاب في اللغة إنما تصلح أن تكون خطبة لكتاب الشفاء لابن سينا.

أورد ابن سيده في مقدمة المحكم أسماء المصادر التي اعتمدها في تصنيف معجمه^(١)، فقد ضمن كتابه من كتب اللغة: مصنف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة، وتفسير القرآن الكريم، وشروح الحديث النبوي الشريف، والكتاب الموسوم بالعين، ما صح لدينا منه، وأخذناه بالوثيقة عنه، وكتب الأصمعي، والفراء، وأبي زيد، وابن الأعرابي، وأبي عبيدة، والشيباني، واللحياني، ما سقط إلينا من جميع ذلك، وكتب أبي العباس أحمد بن يحيى: المجالس، والفصيح، والنوادر، وكتابا أبي حنيفة، وكتب كراع، إلى غير ذلك من المختصرات، كالزبرج، والمكنى، والمُبْنَى، والمُتَنَّى، والأضداد والمبدل، والمقلوب، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعللة العجيبة، الملخصة الغريبة، المؤثرة لفضلها، والمُسْتَرَاد لمثلها، وهو حلى كتابي هذا وزينه، وجماله وعينه، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فانت كتاب سيبويه معللة، عربية كانت أو دخيلة.

وأما ما نثر عليه من كتب النحويين المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي علي الفارسي: الحلبيات، والبغداديات، والأهوازيات، والتذكرة، والحجة، والإغفال، والإيضاح، وكتاب الشعر. وكتب أبي الحسن بن الرمانى، كالجامع، والأغراض، وكتب أبي الفتح عثمان ابن جني، كالمغرب، والتمام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسر الصناعة، والتعاقب، والمحتسب، وأشياء اقتضبتها من الأشعار الفصيحة، والخطب الغريبة الصحيحة.

(١) المحكم: م ١/ ص ٤٧-٤٨.

وبذلك فابن سيده وضع في مقدمة معجمه قائمة بالمؤلفات التي أخذ عنها وهي في أغلبها مصادر لغوية نحوية، ومصادر أخرى لم يستطع حصرها وإنما أشار إليها من هنا وهناك. كما ويلاحظ أن ابن سيده ردّ مادة معجمه إلى الأصول المشرقية دون الالتفات إلى المؤلفات الأندلسية^(١).

ومصادر ابن سيده في محكمه تتحصر في مصدرين هما: ما عرف مع أصحاب الاحتجاج من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر والنثر... وإلى ذلك اطمأن أغلب اللغويين العرب في مؤلفاتهم، والثاني مؤلفات علماء اللغة السابقين له وأهمها:

١- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد وسمه ابن سيده في محكمه بـ (العين). أو يذكر (صاحب العين)؛ ولعله غير واثق من نسبة العين للخليل.

٢- إصلاح المنطق، والألفاظ: ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق أبو يوسف (ت ٢٤٤ هـ).

٣- المجالس: ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني، أبو العباس (ت ٢٩١ هـ).

ويذكره كثيراً ويثق به، ويذكره مفسراً، أو صاحب حجة كلام، أو لغوياً له رأي في لهجة، أو رأي في حجة نحو، ومن ذلك قوله: "وفي التَّنْزِيلِ: "من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله" [الشورى: ٤٧]. قَالَ ثَعْلَبٌ: يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُرَدُّ"^(٢).

ويذكر لثعلب أناشيده في مكانها (الإنسان) أو (الناقة)، مهتما بما يقول: "صَفْحَةُ

الْجَنْبِ، أَنْشَدَ ثَعْلَبٌ - فِي صِفَةِ إِنْسَانٍ -:

يَحْكُ كُدُوحَ الْقَمَلِ تَحْتَ لَبَانِهِ وَدَفِيَّهَ مِنْهَا دَامِيَاتٌ وَجَالِبُ

(١) ينظر: يوسف عيد: النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت، ص ١٤٨.

(٢) المحكم: م ٩٠ / ص ٢٦٧.

وَأُنْشَدَ أَيْضاً فِي - صِفَةِ نَاقَةٍ - :

تَرَى ظِلَّهَا عِنْدَ الرِّوَّاحِ كَأَنَّهُ إِلَى دَفِّهَا رَأْلٌ يَخْبُ جَنِيبٌ^(١)

٤- جمهرة اللغة، والاشتقاق، واللغات: ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، أبو بكر (ت ٣٢١هـ).

ويذكره دون الإشارة لكتبه، وأكثر ما يورد له الروايات لأشعار يتخذ منها أداة احتجاج، في روايته، أو ترجيحه لرواية ما أو في تعدد روايات البيت، من ذلك ما قاله عن قول "المعلوط":^(٢)

أَعَاذِلَ مَا يُدْرِيكَ أَنْ رَبَّ هَجْمَةٍ لِأَخْفَافِهَا فَوْقَ الْمَتَانِ فَدِيدُ

ورواه ابن دُرَيْدٍ: (فَوْقَ الْفَلَاةِ فَدِيدُ) قَالَ: وَيُرْوَى: (وَيْيُ) قَالَ: الْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ.

وإلى ابن دريد ينسب صحة أو عدم صحة معنى ما، من ذلك قوله: "مَتَدَّ بِالْمَكَانِ يَمْتَدُّ مُتَوَدًّا: أَقَامَ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: وَلَا أَدْرِي مَا صَحَّتْهُ"^(٣).

٥- الخصائص: ابن جني، عثمان الموصلي، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ).

يورد ابن سيده له آراءه النحوية والصرفية وهي كثيرة جداً، بل وآراءه العروضية، فبلغت ابن سيده لتعليل عد (الإيطاء) عيباً من عيوب قافية الشعر عند العرب، فيقول: "أَوْطَاءُ فِي الشَّعْرِ، وَوَاطًى فِيهِ، وَأَوْطَاءُ: إِذَا لَمْ يُخَالَفْ بَيْنَ الْقَافَتَيْنِ لِفْظاً وَلَا مَعْنَى، فَإِنْ كَانَ الِاتِّفَاقُ بِاللَّفْظِ وَالِاخْتِلَافُ بِالْمَعْنَى فَلَيْسَ بِإِيطَاءٍ... قَالَ ابْنُ جَنِّي: وَوَجْهُ اسْتِقْبَاحِ الْعَرَبِ

(١) المحكم: ٩م/ ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) المحكم: ٩م/ ص ٢٧٨.

(٣) المحكم: ٩م/ ص ٢٩١.

الإيطاء أنه دالٌّ عندهم على قلة مادة الشاعر، ونزارة ما عنده، حتى يضطرَّ إلى إعادة الكلمة الواحدة في القصيدة بلفظها.

- ويشرح ابن سيده معنى قول ابن جني فيقول: - معناها، فيجري هذا عندهم، لما ذكرناه، مجرى العيِّ والحصر، وأصله أن يَطأ الإنسان في طريقه على أثرٍ وطءٍ قبله، فيعيد الوطاء على ذلك الموضع، فذلك إعادة القافية، هو من هذا ^(١).

٦- أسماء السحاب والرياح والأمطار: أبو إسحاق، إبراهيم بن سفيان الزياتي (ت ٢٤٩هـ).

ومرة يذكره بأنه صاحب التعليل وينسبه له، من ذلك تعليله للمفور: "أنه هو كلُّ جزءٍ يجوزُ فيه الزحاف فيسلم. هذا قول أبي إسحاق، وقال مرةً الموفور ما جاز أن يُخرم فلم يُخرم وهو (فَعُولُنْ)، (مَفَاعِلُنْ)، (مُفَاعِلَتُنْ) وإن كان فيها زحافٌ غيرُ الخرم لم تخلُ من أن تكون موفورة قال إنما سُميت موفورة لأنَّ أوتادها توفرت" ^(٢).

٧- مختصر العين: الزبيدي، محمد بن الحسن الأندلسي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ).

٨- تهذيب اللغة: الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ).

٩- مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ).

١٠- البارع: القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي، أبو علي (ت ٣٥٦هـ).

١١- أسماء الخيل، والنوادر: ابن الأعرابي، محمد بن زياد، أبو عبد الله (ت ٢٣١هـ).

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٥٢.

(٢) المحكم: ١٠م / ص ٣٢٤.

وكثيراً ما يرد اسم (ابن الأعرابي عنده) فيثقف بما يقول ويقدمه على غيره، وله من نفس ابن سيده مكان، كما يشير له ولحكمه ولتفسيره أو عدم تفسيره ويتابعه في كل ما يقول من صغيرة أو كبيرة، فمن ذلك قوله: "وقال ابن الأعرابي: دَابَّةٌ وَطِيءٌ بَيْنَ الطَّاءِ، بِالْفَتْحِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَيْئَةِ الدَّلِيلِ، وَلَمْ يُفَسِّرْهُ" (١).

١٢- النوادر: اللحياني، علي بن حازم، أبو الحسن (ت ٢٠٧ هـ).

ويذكره ابن سيده غير قليل، ويكثر ذكره في موضوع النوادر الذي تخصص به، من ذلك قوله في تفسير معنى (دُبَاء) : " قال اللحياني: ومما تُؤَخَّذُ به نِسَاءُ الْأَعْرَابِ الرَّجَالُ: (أَخَذَتْهُ بِدُبَاءٍ، مَمْلَأٌ مِنَ الْمَاءِ، مُعَلَّقٌ بِتَرَشَاءٍ، فَلَا يَزَالُ فِي تَمَشَاءٍ، وَعَيْنُهُ فِي تَبْكَاءٍ)، ثم فسره فقال: التَّرَشَاءُ: الْحَبْلُ، وَالتَّمَشَاءُ: الْمَشْيُ، وَالتَّبْكَاءُ: الْبُكَاءُ" (٢).

١٣- الحروف، والإبل، والخيل: أبو عمرو الشيباني، إسحاق بن مرار (ت ٢٠٦ هـ).

١٤- النوادر: أبو عمرو، زبان بن العلاء عمار التميمي (ت ١٥٤ هـ).

١٥- معاني القرآن، والشوارد، وغريب الحديث: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩ هـ).

١٦- كتاب قطرب:

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٥٢ .

(٢) المحكم: ٩م / ص ٢٨١ .

ومنه طرافة قوله لمنع الضرورة الشعرية، ولكن ابن سيده ما أقره على روايته، فقال:

"وَرَوَاهُ قُطْرُبٌ: ((أَنْ مَطَايَاكَ)) بَفَتْحٍ ((أَنْ)) مَعَ اللَّامِ، وَهَذَا طَرِيفٌ، وَالْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُنَا كَسْرُ إِنَّ، لِتَزُولَ الضَّرُورَةُ إِلَّا أَنَا سَمِعْنَاهَا مَقْتُوحَةً الْهَمْزَةَ" (١).

١٧ - السيرافي:

وينقل عنه مباشرة، أو ينقل له قولاً لسيبويه أو غيره من العلماء، وهذا يدل على أمانة النقل عند ابن سيده، من جهة، ومن جهة يبين الخلل الذي أصاب في ترجيح المعنى من جهة أخرى، وتبقى مسألة ترجيح معنى على معنى مسألة ليست بالأمر الهين! من ذلك قوله: "قال السيرافي: وحكى سيبويه أدبراً في الأسماء ولم يُفسره أحدٌ على أنه اسم، لكنه قد قرنه بأحامر وأجارد، وهما موضعان، فعسى أن يكون أدبرٌ موضعاً" (٢).

١٨ - الزجاج:

وفي التنزيل: "ما نفدت كلمات الله" [لقمان: ٢٧]. قال الزجاج: معناه ما انقطعت ولا فنيّت، ويروى أن المشركين قالوا في القرآن: إن هذا الكلام سينفذ وينقطع، فأعلم الله أن كلامه وحكمته لا تنفذ (٣).

١٩ - الأخفش:

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٤٩. والبيت هو:

(أَلَمْ تَكُنْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ إِنَّ مَطَايَاكَ لَمِنْ خَيْرِ الْمَطِيِّ)

(٢) المحكم: ٩م / ص ٣١٣.

(٣) المحكم: ٩م / ص ٣٥١.

ويذكر مخالفته لسيبويه في غير موضع، ثم يذكر له الآراء التي اختص به، ويناقش آراءه في غير موضع، من ذلك قوله عن الأَخْفَشُ وهو يُخَالِفُ سيبويه فيقول: يَدْيِي، كَتَدْيِي، وقد بيّنا - أي ابن سيده - الفرق بين قول سيبويه والأَخْفَشُ في شرح كتاب سيبويه، والجمع: أَيْدٍ، على ما يَغْلِبُ على جمع فعل في أَدْنَى العدد، فأما قوله - أنشده سيبويه -:

وطرْتُ بِمَنْصَلِي فِي يَعْمَلَاتٍ دَاوَمِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا

فإنه احتاج إلى حذف الياء فحذفها، وكأنه توهم التثنية في هذا، فشبهه لام المعرفة بالتثنية من حيث كانت هذه الأشياء من خواص الأسماء، فحذف الياء لأجل اللام، كما يحذفها لأجل التثنية^(١).

وتبدو مصادر ابن سيده واضحة من خلال أخذه عن علماء اللغة السابقين له، باسمهم الصريح أو باسم كتبهم أو بهما معا. فيذكر سيبويه تارة و تارة يذكر (الكتاب) وتارة يذكرهما معا^(٢).

ومن ذكره لمصادره نأخذ مثالا لذلك قوله^(٣): "التَّضُبُّ"^(٤): شَجَرٌ ضِخَامٌ لَيْسَ لَهُ وَرَقٌ، وَهُوَ يُسَوِّقُ وَيَخْرُجُ لَهُ خَشَبٌ ضِخَامٌ وَأَفْنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّمَا وَرَقُهُ قُضْبَانٌ تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ. وقال أبو نصر: التَّضُبُّ: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ قِصَارٌ وَلَيْسَ مِنْ شَجَرِ الشَّوَاهِقِ، تَأَلَّفَهُ الْحَرَابِيُّ، أَنَشَدَ سِيبَوَيْهَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ:

كَأَنَّ الدُّخَانَ الَّذِي غَادَرَتْ ضُحْيَا دَوَاخِنُ مِنْ تَنْضُبٍ

(١) المحكم: ٩م / ص ٣٦٣.

(٢) ينظر: المحكم: ٩م / ص ٢٤٨.

(٣) المحكم: ٨م / ص ٢١٣.

(٤) المعنى ينقله عن أبي حنيفة.

وعندي أنه إنما سُمِّيَ بذلك لِقَلَّةِ مائه، وأنشد أبو عليِّ الفارسيُّ لِرَجُلٍ واعدته امرأة، فعثرَ عليها أهلُها فضرَبُوهُ بالعِصِيِّ، فقال:

رَأَيْتُكَ لَا تُغْنِيَنِي عَنِّي نَقْرَةٌ إِذَا اخْتَلَفَتْ فِي الْهَرَاوَى الدَّمَامِكُ
فَأَشْهَدُ لَا آتِيكَ مَا دَامَ تَنْضَبُ بِأَرْضِكَ أَوْ ضَخُمِ الْعَصَا مِنْ رَجَالِكَ

وكان التَّنْضِيبُ قد اعتُيِدَ أَنْ تُقَطَعَ الْعِصِيُّ الْجِيَادُ واحِدَتُهُ تَنْضُبَةٌ...

وقوله أيضاً^(١): "والقُتَب: جميع أداة السَّانِيَةِ من أَعْلَاقِهَا وَحِبَالِهَا. والجمع من كل ذلك: أَقْتَاب، قال سيبويه: لم يجاوزا به هذا البناء. وأقْتَبَ البعير: جعل عليه القُتَب. والقُتُوبَةُ من الإبل: الذي يَقْتَبُ بالقُتَب. قال اللحياني: هو ما أمكن أن يوضع عليه القُتَب. قال: وإن شئتُ حذفت منه الهاء، فقلت: القُتُوب وكذلك: كل فعولة من هذا الضرب من الأسماء..."

ومنه في فصل (الخاء والطاء)^(٢): "النَّخْرُطُ: نَبْتُ. قال ابنُ دريد: وليس بثبت. والخَنْطَةُ: مَشَى فِيهِ تَبَخَّرُ. والخَنْطِيرُ: الْعَجُوزُ الْمُسْتَرْخِيَةُ الْجُفُونُ ولحم الوجه".

ومنه قوله^(٣): "وَمَنْ الْعَرَبِ مِنْ يُنَوِّنُهَا، - والحديث عن (تترا) القرآنية - فَيَجْعَلُ أَلْفَهَا لِلْإِحْقَاقِ، بِمَنْزِلَةِ أَلْفِ أَرْضَى وَمِعْرَى. وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يَصْرِفُ؛ يَجْعَلُ أَلْفَهَا لِلتَّائِيثِ بِمَنْزِلَةِ أَلْفِ سَكْرَى وَغَضَبَى. وَالْوَتِيرَةُ: الطَّرِيقَةُ. قَالَ ثَعْلَبٌ: هُوَ مِنَ التَّوَاتُرِ، أَي: التَّتَابُعِ. وَمَا زَالَ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَتَحَوَّلُ عَنْهَا، أَي: طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. وَبَيوتهم على وَتِيرَةٍ: أَي على صَفٍّ. وَالْوَتِيرَةُ: الْفَتْرَةُ فِي الْأَمْرِ، وَالْغَمِيزَةُ وَالتَّوَانِي. وَالْوَتِيرَةُ: الْحَبْسُ وَالْإِبْطَاءُ. وَوَتَرَةُ الْفَخْدِ:

(١) المحكم: ٦م/ ٣٤٣ص

(٢) المحكم: ٥م/ ٣٣٨ص

(٣) المحكم: ٩م/ ٥٣٣ص

عَصَبَةٌ بَيْنَ أَسْفَلِ الْفَخْذِ وَبَيْنَ الصَّغْنِ. وَالْوَتِيرَةُ وَالْوَتْرَةُ: مَا بَيْنَ الْمَنْخَرَيْنِ، وَقِيلَ: الْوَتْرَةُ:
حَرْفُ الْمَنْخَرِ. وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ: الْوَتْرَةُ: مَا بَيْنَ الْأَرْئَبَةِ وَالسَّبَلَةِ".

شواهد المحكم

يُعد استعمال الشواهد التوضيحية أحد الخصائص الرئيسة في المعجم الجيد؛ إذ تقوم الشواهد بمهمة الأداة التعليمية في توضيح دلالات الكلمة نحويًا وأسلوبياً في سياق حي. من ذلك ما جاء عند ابن سيده في فائدة التأويل في الشاهد القرآني وعلاقة ذلك بأقوال الشعراء الذين يستشهد بشعرهم، فيقول^(١): "وقوله تعالى: "وَنِيَابِكَ فَطَهَّرْ"، معناه: قلبك فطهر، وعليه قول عنتره:

فَشَكَّكَتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ نِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ

أي قلبه. وقيل: معنى "وَنِيَابِكَ فَطَهَّرْ"، أي نفسك. وقيل: معناه لا تكن غادراً، ويقال للغادر: دنس النياب. وقيل: معناه: ثيابك فقصر، لأن الثوب إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يصيبه ما ينجسه، وقصره يبعده من النجاسة...

وقوله تعالى: " لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"، يعني الملائكة، وكله على المثل، وقوله عز وجل: " أولئك الذين لم يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ " أي أن يهديهم". وهذا درس في التأويل واحتمال المعنى (معنى المعنى) كما أراده ابن سيده.

وفي المعاجم العربية، لم يكن تضمين الشواهد التوضيحية فيها مسألة مطروحة للنقاش. فقد اتبع المعجميون العرب دائماً تقليد استخدام الشواهد بصورة مكثفة إن لم يكن بصورة منتظمة. وقد أرسى هذا التقليد أبو المعجمة العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثامن الميلادي = الثاني الهجري.

(١) المحكم: م٤/ ص٢٤٦.

ومع ذلك، يجدر القول إنه بالإضافة إلى وظيفة الشواهد التوضيحية التي ذكرناها قبل قليل، فإن المعجميين العرب استعملوها لغرضين آخرين هما: أولاً: للبرهان على أن تلك الكلمة موجودة في اللغة، وثانياً: للدلالة على أن تلك الكلمة لها معنى معين آخر قد لا يكون القارئ أو الناقد قد اطلع عليه من قبل.

وهذا يفسر لنا سبب وجود بعض الشواهد التي تشتمل على كلمات أصعب من كلمة المدخل المراد توضيحها، بحيث يضطر المعجمي إلى شرح معنى الشاهد فضلاً عن مساعدة القارئ على فهمه إياه.

- الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية:

لعل إيقاف الاحتجاج على لغة عصر الاحتجاج يعني الحكم بإيقاف نمو اللغة عند الحد الذي وقفت عنده في تلك الحقبة ! ولم ينسب علماء الاحتجاج اللغات إلى قبائلها فتجد في استعمالهم كلاماً من قبيلة (أسد) ومن (تميم) ومن كلام (قريش) وغيرها، من ذلك قول ابن سيده في معنى [أبى]^(١):

"أَبَى الشَّيْءَ يَأْبَاهُ إِبَاءً وَإِبَاءَةً: كَرِهَهُ؛ قَالَ يَعْقُوبُ: أَبَى يَأْبَى نَادِرٌ. وَقَالَ سِيبَوَيْه: شَبَّهُوا الْأَلْفَ بِالْهَمْزَةِ فِي قَرَأَ يَقْرَأُ، وَقَالَ مَرَّةً: أَبَى يَأْبَى ضَارَعُوا بِهِ حَسِبَ يَحْسِبُ فَتَحُوا كَمَا كَسَرُوا، قَالَ: وَقَالُوا: يَنْبَى، وَهُوَ شَاذٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا - أَنَّهُ (فَعَلُ) (يَفْعَلُ)، وَمَا كَانَ عَلَى فَعَلٍ لَمْ يُكْسَرْ أَوَّلُهُ فِي الْمُضَارَعِ، فَكُسِرَ هَذَا لِأَنَّ مُضَارَعَهُ مُشَاكِلٌ لِمُضَارَعِ فَعَلٍ، فَلَمَّا كُسِرَ أَوَّلُ مُضَارَعِ (فَعَلِ) فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ إِلَّا فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ،^(٢) كَذَلِكَ كَسَرُوا (يَفْعَلُ) هُنَا.

(١) المحكم: ١٠م / ص ٥٥٨.

(٢) يستشهد باللغات وهو استشهاد منفرد عنده.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي، مِنَ الشُّذُوذِ، أَنَّهُمْ تَجَوَّزُوا الْكَسْرَ فِي الْيَاءِ مِنْ يَبَّى، وَلَا يُكْسَرُ الْبَاءُ إِلَّا فِي نَحْوِ
يَنْجَلُ، وَاسْتَجَازُوا هَذَا الشُّذُوذَ فِي يَاءِ يَبَّى؛ لِأَنَّ الشُّذُوذَ قَدْ كَثُرَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ...

ومنه قوله في معنى "(المِضْنَم)"^(١): الشَّدِيدُ الصَّدَمِ وَالضَّرْبِ؛ وَالسَّيِّدُ الضَّخْمُ
الشَّرِيفُ. وَالضَّخْمَةُ: الْعَرِيضَةُ الْأَرِيضَةُ النَّاعِمَةُ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ. وَانْشَدَ لِعَائِذِ بْنِ سَعْدِ
الْعَنْبَرِيِّ يَصِفُ وَرْدَ إِبِلِهِ:

حُمْرًا كَأَنَّ خَاضِبًا مِنْهَا خَضَبُ

ذُرًّا ضِخَمَاتٍ كَأَشْبَاهِ الرُّطَبِ

وَبَنُو عَبْدِ بْنِ ضَخْمٍ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ، دَرَجُوا.

ومثله قوله^(٢): "وَبَنُو النَّجَارِ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: (وَبَنُو النَّجَارِ الْأَنْصَارِ) قَالَ حَسَانُ:

نَشَدَتْ بَنِي النَّجَارِ أَفْعَالٌ وَالْدَى إِذَا الْعَانَ لَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنْ يَوَارِعِهِ

وَلَقَدْ تَحَدَّثَ ابْنُ جَنِي فِي كِتَابِهِ (الْمَحْتَسَب)^(٣) عَنِ الْإِحْتِجَاجِ الْمَقْبُولِ الْمَتَوَاتِرِ وَالشَّاذِ فِي
الْقَرَاءَاتِ الْقَرَأْنِيَّةِ.

(١) المحكم: م ٥٠/ص ٥٠.

(٢) المحكم: م ٧٢/ص ٣٨٩.

(٣) ذكر ابن جني ضرباً اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بالقراءات السبعة، وهو بشهرته غني عن تحديده، وضرباً تعدى ذلك، فسمّاه أهل زماننا شاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، مخوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه.

ويذكر ابن سيده شاهده من القرآن الكريم بعبارة "ومما جاء في التنزيل الكريم"، دون تعليق على لغة مَنْ نزل، كقوله: "(مقلوبه) [ج هـ ز] ^(١): جهازُ العروس والميت وجهازُهما: ما يحتاجان إليه، وكذلك جهازُ المسافر، وقد جَهَّزَه فتَجَهَّزَ، وفي التنزيل: "فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ" [يوسف: ٧٠] "

أو نراه يفسر ما جاء في التنزيل، فيقول: "(مقلوبه) [ج هـ ر] ^(٢): الجهرة: ما ظهر. وراه جهرة: لم يك بينهما سترٌ، وفي التنزيل: "أرنا الله جهرة" [النساء: ١٥٣] أي: غير مستتر عنا بشيء..."

وقد استند علماء الاحتجاج باللغات إلى القراءات القرآنية الكريمة في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط بعض مفردات اللغة. ولعله ثمة ارتباط بين القراءات القرآنية ولهجات القبائل العربية، وقد كان من حكمة نزول هذه القراءات أن يَسْرَتْ تلاوة الوحي الكريم والتعامل معه، على الرغم من أن اللسان العربي تتعدّد لهجاته على نحوٍ واسع. وقد تكفّلت كتب لغات القبائل بإسناد كل مفردة قرآنية إلى أصل قبيلتها التي انحدرت منها.

من ذلك قول ابن سيده في شاهد اللغات التي نزل بها القرآن الكريم، وقرأت به العرب ^(٣): "وقد بَهَتْ وبَهَتْ وبُهَتْ وبُهَتْ الخضم: استولت عليه الحجة. وفي التنزيل: "فَبَهَتْ الذي كَفَرَ" [البقرة: ٢٥٨] ابن جني: قرأه ابن السميع: "فَبَهَتْ الذي كَفَرَ" أراد فَبَهَتْ إبراهيم الكافر، (فالذي) على هذا في موضع نصب، قال: وقرأه أبو حيوة "فَبَهَتْ" بضم الهاء، لغة في

(١) المحكم: م/٤ ص ١٥١.

(٢) المحكم: م/٤ ص ١٦٠.

(٣) المحكم: م/٤ ص ٢٨٢.

بَهَتْ، قال: وقد يجوز أن يكون بَهَتْ بالفتح لغة في بَهَتْ، قال: وحكى أبو الحسن الأخفش قراءة "قَبِهَتْ" كخَرِقَ وَدَهَشَ، قال: وبَهَتْ، بالضم، أكثرُ من بَهَتْ، بالكسر، يعني أن الضمة تكون للمبالغة..."

ومن شواهد القراءات عند ابن سيده، قوله: من فصل (الخاء والطاء والفاء)^(١) "الخَطَفُ: الأخذ في سرعة واستلاب. خَطَفَهُ، وَخَطَفَهُ، يَخْطِفُهُ، وَخَطَفَهُ، وَتَخَطَّفَهُ، وفي التنزيل: " فتخطفه الطير". وفيه - يعني من القرآن الكريم -: " وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ "[العنكبوت: ٦٧]. وأما قراءة من قرأ - و لم يذكر قراءة من تلك -: " إلا من خَطَفَ الخَطْفَةَ "[الصفات: ١٠] فإن أصله (اختطف) فأدغمت التاء في الطاء وألقيت حركتها على الخاء فسقطت الألف. وقرئ (خَطَفَ) بكسر الخاء، لسكونها وسكون التاء المدغمة في الطاء. " يعني من قانون الإبدال العام.

ومن أكثر شواهد القرآن الكريم طولا - ولا يذكر مكان ورقم الآية - عند ابن سيده، استشهاده في تفسير معنى " أصحاب الأخدود "، فقال^(٢) "وقيل: الخَدْ والأُخْدُود: شقان في الأرض غامضان مُستطيلان، قال ابن دُرَيْد: وبه فسر أبو عُبَيْدٍ قوله تعالى: " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ "[البروج: ٤] وكانوا قوما يعبدون صنماً، وكان معهم قومٌ يعبدون الله ويوحّدونه ويكتمون أيمانهم، فعلموا بهم، فخذّوا لهم أُخْدُوداً، وملّؤوه ناراً، وقذفوا بهم في تلك النار، فتقحموها ولم يرتدوا عن دينهم، ثبوتاً على الإسلام، وبقينا أنهم يصيرون إلى الجنة فجاء في

(١) المحكم: ٥/ص ١١٨.

(٢) المحكم: ٤/ص ٥٠.

التفسير أن آخر من ألقى منهم امرأة معها صبي رضيع، فلما رأت النار صَدَّتْ بوجهها وأعرضت، فقال لها: يا أُمَّتَاهُ، قفي ولا تتأفقي. وقيل: إنه قال لها: ما هي إلا غُمِيضَةٌ. فصبرت فألقيت في النار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحاب الأخدود تعود بالله من جهد البلاء."

ومرة يذكر اسم السورة ورقم الآية، ويشير إلى القراءات وأسماء أصحابها، والقراءة الشاذة منها، انظر قوله في معنى وأَنْشَرَ اللهُ الرِّيحَ^(١): "أحيائها بعد مَوْتٍ وأرسلها نَشْرًا ونَشْرًا، وفي التنزيل^(٢): " وهو الذي أرسل الرياح نَشْرًا " [الأعراف: ٥٧، الفرقان: ٤٨] نَشْرًا ونَشْرًا ونَشْرًا، فأما من قرأ نَشْرًا فهو جَمْعُ نَشُورٍ، مثل رَسُولٍ ورُسُلٍ، ومن قرأ نَشْرًا سَكَنَ الشَّيْنُ استِخْفَافًا - حكم لا علاقة له بالمعنى - ، ومن قرأ نَشْرًا فمعناه: إحياء، بنَشْرِ السَّحَابِ الذي فيه المطرُ الذي هو حياة كُلِّ شيءٍ، ونَشْرًا شاذةٌ..."

(١) المحكم: ٨/ص ٤١.

(٢) الآية الكريمة، من سورة " الفرقان "، على رواية حفص عن عاصم المتداولة عندنا في الأردن: " وهو الذي أرسل الرياح بُشْرًا ". وقال ابن سيده: وقُرئ بُشْرًا بالباء جَمْعُ بُشِيرَةٍ، كقوله تعالى: " ومن آياته أن يرسل الرياح مُبَشِّرَاتٍ " [الروم: ٤٦] ونَشَرَتِ الرِّيحُ: هَبَتْ في يومٍ غَيِّمٍ حَاصَّةٍ. وقوله تعالى: " والتَّاشِرَاتِ نَشْرًا " [المرسلات: ٣] قال ثعلب: هي الملائكة تُنَشِّرُ الرَّحْمَةَ. ونَشَرَتِ الْأَرْضُ تُنَشِّرُ نَشُورًا: أصابها الريحُ فَأَنْبَتَتْ، وما أَحْسَنَ نَشْرَهَا، أي بَدَأَ نَبَاتَهَا. والنَّشْرُ: أن يَخْرُجَ النَّبْتُ ثُمَّ يُطْعَى عَنْهُ الْمَطَرُ فَيَنْبُتُ، ثُمَّ يُصْبِيهِ مَطَرٌ فَيَنْبُتُ بَعْدَ الْيَبْسِ. وهو رَدِيٌّ لِلْإِبِلِ وَالْغَنَمِ إِذَا رَعَتْهُ فِي أَوَّلِ مَا يَظْهَرُ يُصْبِيهَا مِنْهُ السَّهَامُ، وقد نَشَرَ الْعُشْبُ نَشْرًا. قال أبو حنيفة: ولا يَضُرُّ النَّشْرُ الْحَافِرَ، وإذا كَانَ كَذَلِكَ تَرَكَوه حَتَّى يَجِفَّ فَتَذْهَبَ عَنْهُ أْبَلَتُهُ، أي شُرُّهُ، وهو يكون من الْبَقْلِ وَالْعُشْبِ، وقيل: لا يكون إِلَّا مِنَ الْعُشْبِ. وقد نَشَرَتِ الْأَرْضُ. وَعَمَّ أَبُو عُبَيْدٍ بِالنَّشْرِ جَمِيعَ مَا خَرَجَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ. والنَّشْرُ انْتِشَارُ الْوَرَقِ... المحكم ٨/ص ٤٢ وهو بذلك يرجح قراءة (نَشْرًا) بالنون، وليس (بشر) بالباء. محمد فهد الحاروف: التسهيل لقراءات التنزيل، مراجعة محمد كريم راجح، دار البيروتي، دمشق - سورية، ط (١)، ١٩٩٩م، فوجد الترجيح الأغلب (نَشْرًا) كما يلي:

(نَشْرًا): نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب.

(نَشْرًا): ابن عامر.

(بُشْرًا): عاصم.

(نَشْرًا): الباقون.

– الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف^(١):

كان ابن سيده واحداً من الذين اعتمدوا الحديث النبوي الشريف في الاستشهاد بالقضايا اللغوية والنحوية والصرفية، ومثله من أئمة اللغة الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف: ابن جني (٣٩٢ هـ)، وابن فارس (٣٩٥ هـ)، والجوهري (٣٩٨ هـ)، والسهيلي (٥٨١ هـ)، وابن بري (٥٨١ هـ) وابن خروف (٦٠٩ هـ)...

ومما استشهد به ابن سيده في المحكم، قوله^(٢): "وقوله صلى الله عليه وسلم: " ما نزل من القرآن آية لا لها ظهْرٌ وبطنٌ، وكلُّ حرفٍ حدٌّ وكلُّ حدٍّ مُطْلَعٌ " قال أبو عبيد: قال بعضهم: الظَّهْرُ: لفظُ القرآن، والبطنُ: تأويلُهُ، وقيل: الظَّهْرُ: الحديثُ والخبرُ، والبطنُ: ما فيه من الوعظِ والتحذيرِ والتنبيه، والمُطْلَعُ: مَاتَى الحَدَّ وَمَصَعَدَهُ: أي قد عَمَلَ بها قومٌ أَوْسَعَمَلُونَ. ومنه – أيضاً – قوله: ^(٣) والسَّبَّاعُ: الفخرُ بكثرةِ الجماع، وفي الحديث: "أنه نهَى عن السَّبَّاع". وقيل: السَّبَّاع: الجماع نفسه. وفي الحديث: "إنه صَبَّ على رأسه الماءَ من سَبَّاعٍ. هذه الأخيرة عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، حكاه الهروي في الغريب"

(١) من الدراسات التي فصلت الحديث حول الحديث النبوي الشريف في المعجم العربي:

– ياسر حمدو الدرويش: الحديث النبوي في المعجم العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ماجستير، حلب ١٩٩٩.

– ياسر حمدو الدرويش: الحديث النبوي في المعجم العربي من بداية القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجريين، دكتوراه، حلب ٢٠٠٣.

– محمد ضاري حمادي: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ١٩٨٢ م.

(٢) المحكم: ٤/ ص ٢٨٥-٢٨٦ والحديث بلا سند عنده.

(٣) المحكم: ١/ ص ٥٠٧.

– الاستشهاد بلغات القبائل:

ومما ذكره ابن سيده للاستشهاد بالقبائل، قوله^(١): "والهَيْتَمُ: شجرة من شجر الحمض جَدَّةٌ. حكى ذلك أبو حنيفة. وقال: ذُكِرَ ذلك عن شُبَيْلِ بن عَزْرَةَ، وكان راويةً، وأنشد لرجل من بني يَرْبُوع:

رَعَتْ بِقِرَانِ الْحَزَنِ رَوْضًا مُوَاصِلًا عَمِيمًا مِنَ الظَّلَامِ وَالْهَيْتَمِ الْجَعْدِ "

وفي الاستشهاد باللهجات واللغات أورد أبو نصر الفارابي في (الألفاظ والحروف): وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سُكَّانِ البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم؛ فإنه لم يُؤْخَذَ لا من لَحْمٍ، ولا من جُذَامٍ؛ لمجاورتهم أهل مصر والقِبْط، ولا من قضاة، ولا من غَسَّان، ولا من إِيَادٍ؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بالعبرانية، ولا من النَّمْرِ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر لمجاورتهم للنَّبَطِ والفرس، ولا من أَرْدِ عَمَانَ، لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً، لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثَقَف، وسكان الطائف، لمخالطتهم تُجَّارِ الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم.

وكان ابن سيده يذكر اسم القبيلة المأخوذ عنها، بعد روايته المعنى، فهي إما حجازية،

أو هذلية، أو تميمية، أو يمانية، أو غير ذلك، ومن ذلك قوله:

(١) المحكم: ٤م / ص ٢٨٣.

"وَدَفَرَهُ يَدْفِرُهُ دَفْرًا: دَفَعَ فِي صَدْرِهِ، وَمَنَعَهُ، يَمَانِيَةً" (١)

ومن استشهاد بلغة القبائل قوله: "يَنَسُ يَنَسُّ وَيَنَاسُ: عَلِمَ، قَالَ:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَنَسِرُونَنِي أَلَمْ تَتَّأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمَ

يَنَسِرُونَنِي مِنْ أَيْسَارِ الْجَزُورِ أَيْ يَجْتَزِرُونَنِي وَيَقْتَسِمُونَنِي، وَيُرَوَّى يَأْسِرُونَنِي مِنَ الْأَسْرِ، وَزَهْدَمَ اسْمُ فَرَسٍ. قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ: يَنَسْتُ بِمَعْنَى عَلِمْتُ لُغَةً هَوَازِنَ، وَقَالَ الْكَسَائِيُّ هِيَ لُغَةٌ" (٢).

- الاستشهاد بالأقوال والأمثال:

ومما جاء عند ابن سيده من استشهاد النثري، وهي قليلة، نسبة للشعر، والقرآن الكريم... ومنها قوله (٣): "وَهَبَ لَكَ الشَّيْءَ يَهَبُهُ وَهْبًا [وَوَهَبًا بِالتَّحْرِيكِ] وَهَبَةً [وَالْإِسْمِ] الْمَوْهَبُ وَالْمَوْهَبَةُ بِكَسْرِ الْهَاءِ فِيهِمَا، وَلَا يُقَالُ: وَهَبَكُ، هَذَا قَوْلُ سَبْيُوِيَه. وَحَكَ السِّيرَافِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِأَخْر: انْطَلِقْ مَعِيَ أَهْبَكَ نَبْلًا."

(١) المحكم: م ٩/ ص ٣٠١.

(٢) المحكم: م ٨/ ص ٦٣٢.

(٣) المحكم: م ٤/ ص ٤٣٩. فكثيراً من استشهادات ابن سيده النثرية هي من مجالس (ثعلب)، وبعض الأمثال الواردة هنا أو هناك، والتركيز لم يكن على كتب الأمثال، بل على مجالس ثعلب. ومجالس ثعلب اشتملت على ضروب شتى من علوم العربية. فبالإضافة إلى ما ضمته من مسائل نحوية على مذهبي الكوفيين والبصريين، نجد في تضاعيفها قدراً صالحاً من شواهد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار المختارة وأقوال اللغويين. وثعلب في كل ذلك مفسر ومجادل، قد ملأ ابن سيده إيماناً بصحة ما وجد فيه من رواية صادقة، فأكثر من الإحالة على أقواله إحالات صريحة النسبة إلا فيما ندر.

ومن شواهده النثرية قوله^(١) في معنى: "وتطائر الشيء: طارَ وتفرّق. وفلانٌ ساكنُ الطائر، أي: أنه وقورٌ لا حركةَ له من وقاره، حتّى أنه لو وقّع عليه طائرٌ لسكنَ ذلك الطائرُ، وذلك لأنَّ الإنسانَ لو وقّع عليه طائرٌ فتحركَ أدنى حركةٍ لفرَّ ذلك الطائرُ ولم يسكنْ، - فأتى بشاهد نثري من أقوال الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، فقال:- ومنه قولُ بعضِ أصحابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: " إنا كنا معَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وكانَ الطَّيْرُ فوقَ رُءُوسِنا " أي: كانَ الطَّيْرُ وَقَعَتْ على رُءُوسِنا، فَحَنُ نَسْكُنُ ولا نَتَحَرَّكُ، خَشْيَةً من نِفَارِ ذلك الطَّيْرِ. والطَّائِرُ: ما تَيَمَّنَّتْ به أو تَشَاءَمَتْ، وأصلُّه في ذِي الجَنَاحِ.

- وإلى شاهد نثري آخر، يقف ابن سيده، فيقول:- وقالوا للشيءِ يُتَطَيَّرُ به - من الإنسانِ وغيره -: " طائرُ الله لا طائركَ " فَرَفَعُوهُ على إِرَادَةِ هَذَا طَائِرُ اللهِ، وفيه مَعْنَى الدُّعَاءِ، وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ. - ومن شاهد نثري آخر، يقول:- وحكى اللِّحْيَانِيُّ: " طَيْرُ اللهِ لا طَيْرِكَ " قال: وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ أَيْضاً. وَجَرَى له الطَّائِرُ بِأَمْرِ كَذَا، وذلك في الشَّرِّ. - ويدعم شواهدُه بقول الحكيم العليم،- قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " ألا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ " [الأعراف: ١٢١] فالْمَعْنَى إِنَّمَا الشُّؤْمُ الَّذِي يَلْحَقُهُمْ هُوَ الَّذِي وَعِدُوا به في الآخِرَةِ لا ما يَنَالُهُمْ في الدُّنْيَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: طَائِرُهُمْ: حَظُّهُمْ، قَالَ الْأَعَشِيُّ:

جَرَتْ لَهُمْ طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ

(١) المحكم: ٩م/ ٢١٣.

وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرَ الشَّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصِيبُكَ اجْتِنَابُهَا

وقد تطير به، والاسم الطيرة والطيرة والطورة. وطائر الإنسان: عمله الذي قلده، وقيل: رزقه. والطائر: الحظ من الخير والشر. وقوله تعالى: "وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ" [الإسراء: ١٣] قيل: حظه، وقال المفسرون: ما عمل من خير أو شر أَلْزَمَانُهُ عُنُقُهُ، والمعنى - فيما يرى أهل النظر^(١): أن لكل امرئ حظاً من الخير والشر قد قضاه الله فهو لأزم عُنُقُهُ، وإنما قيل للحظ من الخير أو الشر: طائر، لقول العرب - يختم به دون تحديد من القائل -: جرى له الطائر بكذا من الشر...

ويلاحظ الباحث أن ابن سيده قد أسعفته الشواهد النثرية في شرح معنى "تطير" أكثر من غيرها، مع استذكاره للشواهد القرآنية الكريمة التي يعتمد عليها بشكل رئيس، ثم لم ينس شاهد الحديث النبوي الشريف وهو من أنصاره، ولكنه لم يجده قولاً صحيحاً للنبي الكريم - عليه السلام - فاستعان بقول مأثور لصحابته الكرام - عليهم رضوان الله - وصلى الله على نبينا وسلم. ومنه، قوله في تفسير (ن ط ت)^(٢): "وَانْتَاطَتِ الدَّارُ: بَعْدَتْ، عن ابن الأعرابي، قال: ومنه قول معاوية لبعض خدامه: "عليك بصاحبك الأقدم، فإنك تجده على مودة واحدة وإن قدم العهد، وانتاطت الدار، وإياك وكل مستحدث، فإنه يأكل مع كل قوم، ويجري مع كل ربح..."

(١) يقصد الفقهاء.

(٢) المحكم: ٩م / ص ٢٤٠.

ومن شواهده النثرية في قصة المثل، نجد^(١): في (باب الثلاثي اللفيف) من (العين والوار والياء) "عَوَى الكلبُ والذئبُ يَعوي عِيًا وعَوَاءً، وعَوَّةً وعَوِيَّةً كلاهما نادرٌ:"^(٢) لَوَى خَطْمُهُ ثم صَوَّتَ. وقيل: مَدَّ صَوْتَهُ ولم يُفصِح. واعتَوَى كَعَوَى. قال جرير:

ألا إنما العُكْلِيُّ كلبٌ فَقُلْ له إذا ما اعتَوَى إخسأ وألق له عَرَقًا

كذلك الأسدُ. والعَوَّةُ: الصَّوْتُ. وكتبُ عَوَاءً: كثيرُ العَوَاءِ. وفي الدعاء: "عَلَيْهِ الْعَفَاءُ، وَالْكَلبُ الْعَوَاءُ". وعَاوَتِ الكلابُ الكلبةَ: نَابَحَتَهَا. ومعاوية: اسمٌ، وهو منه. في المثل "لو لَكَ أعوي ما عَوَيْتُ"^(٣) وأصله - قصته - أن الرجلَ كان إذا أَمْسَى بالقَفَرِ عَوَى لِيُسمِعَ الكلابَ، فإن كان قُرْبَهُ أَنيسٌ أَجَابَتْهُ الكلابُ فاستَدَلَّ بِعَوَائِهَا. فَعَوَى هذا الرجلُ فجاء الذئبُ فقال: "لو لَكَ أعوي ما عَوَيْتُ".

كذلك نجد قوله^(٤): "والوترُ: شِرْعَةُ القَوْسِ ومُعَلَّقُهَا، والجمعُ: أوتارٌ. وأوترَ القَوْسَ: جَعَلَ لها وترًا. ووترَها ووترَها: شَدَّ وترَها. وقال اللّحياني: وترَها وأوترَها شَدَّ وترَها. قال: ومن أَمثالِهِمْ^(٥): لا تُعْجَلِ الْإِنْبَاضَ قَبْلَ التَّوْتِيرِ. هَذَا مَثَلٌ فِي اسْتِعْجَالِ الْأَمْرِ قَبْلَ بُلُوغِ إِيَّاهُ."

(١) المحكم: ٢م / ص ٣٨٢ .

(٢) هذا حكمه .

(٣) لم يثبت مرجع المثل... فقد أعطى قصته.

(٤) المحكم: ٩م / ص ٥٣٥ .

(٥) يعني العرب.

– الاستشهاد بالشعر:

أكثر ابن سيده الاعتداد بعظماء علماء اللغة، وكبار الشعراء الذين يستشهد بشعرهم من عصر الاحتجاج، من ذلك يقول ابن سيده: ^(١) "قال سيبويه: جمع الشَّلَل: شَلَلُون، ولا يكسر لقلَّة فُعْل في الصفات. ورجل شُلْشُل، ومُتَشَلَّشِل: قليل اللحم خفيف فيما أخذ فيه من عمل أو غيره، وقال تَابُطُ شَرًّا:

ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضو المَلَا بالشاحِبِ المتشَلَّشِلِ

إنما يعني: الرجل الخفيف المتخذ القليل اللحم. والشَّلَّة: قَطْرَانِ الماء. وقد تشَلَّشِل. وماء شَلَّشِل، ومُتَشَلَّشِل، تشَلَّشِل يتبع قَطْرَانُ بعضه بعضا. وكذلك: الدم... والاسم: الشَّلَّشَال. وشَلَّتْ العينُ دمعها: كَشَنَّتْه. وزعم يعقوب: أنه من البذل. والشَّلَّة: النَّيَّة حيث انتوى القوم. والشَّلَّة والشَّلَّة: الأمر البعيد تطلبه. قال أبو ذؤيب:

وقلت: تجنَّبْ سَخْطَ ابنِ عَمٍّ ومطلب شَلَّة وهي الطَّرُوح

ورواه الأخفش: "سخط ابن عمرو" قال: يعني ابن عويمر. وتَشْلِيل: اسم بلد. قال النابغة الجعدي:

حتى غلبنا ولولا نحن - قد علموا - حَلَّتْ شَلِيلَا عذارهم وجَمَّالَا

(١) المحكم: ٧م / ص ٦١٧-٦٢٠.

مقلوبه: [ل ش ل ش] اللّشّلة: كثرة التردّد عند الفزع. وجَبَان لشلّاش: كثير التردد
 فَرَعَا. من فصل: الشين والنون [ش ن ن] الشّن، والشّنة: الخلق من كل آنية صُنعت من جلد.
 وجمّعها: شنان. وحكى اللحياني: قرّبة أشنان، كأنهم جعلوا كل جزء منها شناً ثم جمعوا على
 هذا. ولم اسمع أشنانا في جمع شنّ إلا هنا. وتَشَنَّن السَّقاء، واشتَنَّ، واستشَنَّ: أخلق. ومرة
 شّنة: خلا من سنّها، عن ابن الأعرابي أراد: ذهب من عمرها كثير فبليت. وقيل: هي العجوز
 المُسنّة البالية. وقوس شّنة: قديمة، عنه أيضا. وأنشد:

فلا صريخ اليوم إلا هُنة

معابلٍ خوصٍ وقوسٍ شّنة

والشّن: الضعف. وأصله من ذلك. وتَشَنَّن جلدُ الإنسان: تغضّن عند الهرم. والشّنون:
 المهزول من الدواب. وقيل: الذي ليس بمهزول ولا سمين. وقيل: السمين. وذئب شّنون:
 جائع، قال الطرمّاح:

شجّ بخصومة الذئب الشّنون

والشّنين، والتّشّنين، والتّشّنان: قَطْرَانُ الماء. وشنّ الماء على شرابه يشنّه شناً: صبّه.
 وشنّ الماء على وجهه يشنّه شناً: صبّه صبّا وفرّقه. وقيل: هو صبٌّ شبيه بالنّضح. وعلق
 شنين: مصبوب، قال عبد مناف بن ربيع الهذلي:

وإن بعقّدة الأنصاب منكم غلاما خرّ في علق شنين

وشنّت العين دمعها: كذلك. وشنّ عليه درّعه يشنّها شناً: صبّها... وقيل: هي مدفع الوادي
 الصغير. والشّنان: الماء البارد، قال أبو ذؤيب:

بماء شنان زعزت مَنته الصَّبَا وجادت عليه ديمةٌ بعد وابل

ويروى: " بماءِ شنانٍ ". ولَبِنَ شَنِين: مَحْض، صُبَّ عليه ماء بارد، عن ابن الأعرابي. وشَنَّ: قبيلة، وفي المثل: " وافق شَنَّ طبقة ". قال ابن السكيت: هو شَنَّ بن أَفْصَى بن عبد القيس بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أَسَد بن ربيعة بن نزار. وطَبَّق: حَيَّ من إِيَاد، وكانت شَنَّ لا يقام لها فواقعها طَبَّق فانتصفت منها فقل: وافق شَنَّ طبقة، وافقه فاعتنقه، قال:

لَقِيْتُ شَنَّ إِيَاداً بِالْقَنَا طَبَقاً وافق شَنَّ طَبَقَةً

...والشَّنْشَنَة: الطبيعة والخيفة، وفي المثل: " شَنِشَنَة أعْرِفها من أخْزَم " والشَّنْشَنَة: القِطْعَة من اللحم. وقيل: القِطْعَة من الحبل.

- شاهد الضرورة الشعرية عند ابن سيده:

ومعنى الضرورة الشعرية^(١) هو: مخالفة المألوف من القواعد في الشعر، سواء كان في وزن عروضي أو قافية... ولم يُسمَّه العلماء بالخطأ اللغوي، بل نسبوا الخطأ لانهماءك الشاعر بموسيقى شعره وأنغام قوافيه، فيقع في الخطأ عن غير شعور منه!

ولم يكن كثير من اللغويين والنحويين يعترف بما يسمى (الضرورة الشعرية) فلم يكونوا يتصورون أن يخطئ شاعر في هذه اللغة؛ لأنه يتكلمها بالسليقة، فإذا وجدوا في شعر شاعر خروجاً عن المألوف راحوا يتلمسون له المعاذير والحيل ويتكلفون في التأويل والتخريج.

(١) ينظر: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي: أصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ج٣، ص٤٣٥ وما بعدها.

وقد نُسِبَ للزمخشري جمعه الضرورات الشعرية في بيتين من الشعر، إذ قال:

ضرورة الشعر عشر عدُّ جملتها قطع و وصل و تقيف و تشديد

مد و قصر و إسكان و تحركة ومنع صرف و صرف ثم تعديل

ومن أنواع الضرورات الشعرية:

١- ضرورة مقبولة، مثل: قصر الممدود.

٢- ضرورة معتدلة، مثل: مد المقصور.

٣- ضرورة قبيحة، مثل: ترخيم المنادى الزائد على ثلاثة أحرف.

وللعلماء آراء مختلفة في قبول الضرورات، ومنهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) صاحب الصناعتين، إذ قال مخاطباً الشاعر: " يجب أن تجتنب ارتكاب الضرورات، وإن جاء فيها رخصة من أهل العربية، فإنها قبيحة تشين الكلام ... " (١).

وكان ابن سيده ممن يوافق على الأخذ بشاهد الضرورة الشعرية، وبعض شواهد ينسبها لمن أخذ عنها قبله، وبعضها لا ينسبها وكأنها له، ومن أشكال الضرورة الشعرية التي احتج بها الأشكال التالية:

- ضرورة زيادة الألف واللام (٢):

فيقول في قول الشاعر:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

(١) أبو هلال العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي حمد الجحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار

إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٢، ص ٥٠.

(٢) المحكم: م ١٠ / ص ٣٣٢-٣٣٣.

"فإنه زاد الألف واللام للضرورة. كقول الراجز:

باعد أم العمر من أسيرها

وقول الآخر:

يا ليت أم العمر كانت صاحبي

يريد أم عمر و فيمن رواه هكذا. وإلا فالأعراف يا ليت أم الغم".

- ضرورة الإشمام:

ويقول في شرح لأبيات الكتاب - يعني كتاب سيبويه -:

متي أنام لا يؤرقني الكري ليلاً ولا أسمع أجراس المطي

"قال سيبويه: أراد لا يؤرقني، فاحتاج فاشم الساكن الضمة، وإنما قال سيبويه ذلك لأن بعده (ولا أسمع) وهو فعل مرفوع، فحكم الأول الذي عطف عليه هذا الفعل أن يكون مرفوعاً، لكن لما لم يمكنه أن يخلص الحركة في يؤرقني أشمها، وحمل أسمع عليه؛ لأنه وإن كانت الحركة مشمة فإنها في نية الإشباع، وإنما قلنا في الإشمام ههنا إنه ضرورة لأنه لو قال لا يؤرقني فأشبع لخرج من الرجز إلى الكامل، ومحال أن يجمع بين عروضين مختلفين"^(١)

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٤٨.

الفصل الرابع

الموضوعات التي عالجها المحكم

تعددت الموضوعات التي ضمنها ابن سيده في المحكم، ومنها الموضوعات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والعروضية، إضافة إلى معلومات أخرى بثها في معجمه لغرض إتمام إيصال المعلومة لطالبيها. ومن أهم هذه الموضوعات:

- أولاً: الموضوعات الصوتية في المحكم:

لا تُعطى المعلومات الصوتية في المعجم إذا كانت معروفة للقارئ، فلا تُشكّل الكلمات المألوفة التي من المتوقع أن يُلم بها القارئ. وإن المعلومات الصوتية ضرورية عندما يُخشى اللبس أو التحريف في النسخ، أو عندما تكون الكلمات صعبة أو حوشية، أو عندما يكون للكلمة عدة أنواع من الشكل للمعنى ذاته أو للدلالة على معانٍ مختلفة، ومن طرائق ذكر المعلومات الصوتية في المحكم إضافته الشكل التام (الحركات) للكلمة مثل قوله: ^(١) "الهيِّقُّ، بكسر الهاء والباء وشدّ القاف: كثرةُ الجماع...".

ومن الأمثلة الصوتية التي وردت عند ابن سيده قوله ^(٢): "وهاء: كلمةٌ تُستعمل عند المناولة فيقول: هاء يا رجل؛ وفيه لغاتٌ، وقد أُنعمتُ استقصاءها وتعليقها في الكتاب المخصّص، وأذكر هنا أعيانها مُجرّدةً، يقال للمذكر والمؤنث: هاء، على لفظٍ واحدٍ، وللمذكرين هاءاً. وللمؤنثين: هائياً، وللمذكرين: هاءوا ولجماعة المؤنث هائين، ومنهم من يقول للمذكر: هاء وللمؤنث هائي، وللمذكرين والمؤنثين: هائياً، ولجماعة المذكر: هاءوا، ولجماعة المؤنث هائين، ومنهم من يقول: هاء، وهاؤماً يا رجلان، وهاؤموا يا رجال، وهاء يا امرأة،

(١) المحكم: م/٤٨ص/١٢٨.

(٢) المحكم: م/٤٨ص/٤٤٨.

وهاؤماً وهاؤْمَنَ، ومنهم من يقول: هأُ يا رَجُل وللاثنين هاءاً، وللجميع هاءُوا، وللمرأة هائي وللاثنين كالاثنتين، وللنسوة هأُن. وما أدري ما أهاء، أي ما أُعطى، وما أهاء، أي ما أُعطى".

وكذلك قوله في صوت (إيه وهيه)^(١): "وحكى اللّحياني عن الكسائي: إيه وهيه، على البدل، أي حَدَّثنا. وأَيَّة بالرجُل والفرس والإبل: صَوَّتَ. وهو أن يقول لها: ياه ياه، كذا حكاؤه أبو عبيد، وياه ياه من غير مادة "أيه". وأيهان بمعنى هيهات، حكاه ثعلب، يقال: أيهان ذلك، أي بعيد ذلك. وقال أبو علي: معناه بُعد ذلك، فجعله اسمَ الفعل، وهو الصحيح .

(مقلوبه) : [أ ه و] : أها: حكاية صوت الضحك، عن ابن الأعرابي، وأنشد:

أهاها عند زاد القوم ضحكتهُم وأنتم كشف عند الوغى خور "

ومن الظواهر اللغوية التي ذكرها ابن سيده الإجهار، ومنه قوله في حرف الياء: "الياء: حَرْفُ هِجَاءٍ وهو حَرْفٌ مَجْهُورٌ يَكُونُ أَصْلًا وَبَدَلًا وَتَصْغِيرُهَا يُوَيَّةٌ"^(٢). وكذلك في حرف الواو: (٣) "واو: حَرْفٌ هِجَاءٍ وَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ وَاوٍ وَيَاءٍ وَوَاوٍ وَهِيَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ يَكُونُ أَصْلًا وَزَائِدًا وَبَدَلًا".

ومنها التّفخيم، كقول ابن سيده^(٤): وَفَخَّمَهُ، وَتَفَخَّمَهُ: أَجَلَّهُ وَعَظَّمَهُ؛ قال كثيّر عَزّة:

فأنت إذا عدّ المكارم بيّنه بين ابن حرب ذي النهى المتفخم

وفخم الكلام: عَظَّمَهُ. وَمَنطِق فَخْمٌ: جَزَلٌ، على المثل، وكذلك حَسَبَ فَخْمٌ، قال:

(١) المحكم: م ٤ / ص ٤٤٩.

(٢) المحكم: م ١٠ / ص ٦٠٣.

(٣) المحكم: م ١٠ / ص ٦٠٤.

(٤) المحكم: م ٥ / ص ٢٢٥.

دَعُ ذَا وَبَهَّجْ حَسَباً مُبَهَّجَا

فَخَمَا وَسَنَنْ مَنطَقاً مُزَوَّجَا

ورجل فخم: كثير لحم الوجنتين. والتفخيم: ضد الإمالة.

ثانياً: الموضوعات النحوية في المحكم:

لقد ضمّن ابن سيده معجمه إشارات إلى معلومات نحوية تفيد في تتبع تفسير الكلمات عنده، من ذلك قوله^(١) في معنى كلمة الظَّهْرُ من كل شيء: خِلافُ البَطْنِ. والظَّهْرُ من الإنسان: من لَدُنْ مُؤَخَّرِ الكاهِلِ إلى أدنى العَجَزِ عند آخره، مُذَكَّرٌ لا غَيْرُ، صرَّحَ بذلك اللّحياني، وهو من (الأسماء) التي وُضِعَتْ مَوْضِعَ (الظُّروفِ)، والجمعُ أَظْهَرُ وظُهُورٌ. وظَّهْرَانٌ. وَقَلْبَ الأمرِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ: أَنْعَمَ تَدْبِيرَهُ، وَقَلْبَ فُلَانٍ أَمْرَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وظَهْرَهُ لِبَطْنِهِ، وظَهْرَهُ لِلْبَطْنِ، قال الفرزدقُ:

كَيْفَ تَرَانِي قَالِبَا مِجْنِي

أَقْلَبُ أَمْرِي ظَهْرَهُ لِلْبَطْنِ

وإنما اختار الفرزدقُ هاهنا "لِلْبَطْنِ" على قوله: "لِبَطْنٍ" لأن قوله: "ظَهْرَهُ" معرفةٌ، فأراد أن يعطف عليه معرفةٌ مثله وإن اختلف وجهُ التعريفِ. - ويذكر ابن سيده في معرض المعلومات النحوية فضل سيبويه في بسط تلك المسألة النحوية، من ذلك قوله: - قال سيبويه: هذا بابٌ من الفعلِ يُبدلُ فيه الآخرُ من الأولِ، ويجري على الاسم كما يجري أجمعون على الاسم، ويُنصَبُ بالفعلِ، لأنه مفعولٌ، فالبديل أن تقول: ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ... على

(١) المحكم: ٤م / ص ٢٨٥.

البدل، قال: وإن شئتَ كان على الاسم بمنزلة أجمعين. يقول: يصيرُ الظهرُ والبطنُ توكيدا لعبدِ الله، كما يصيرُ أجمعونَ توكيدا للقوم، كأنك قلتَ: ضُربَ كُلُّهُ، قال: وإن شئتَ نصبتَ فقلتَ: ضُربَ زيدَ الظهرَ والبطنَ، وقلبَ زيدَ ظهرهَ وبطنه، فالمعنى أنه قلبَ على الظهرَ والبطنَ، قال: ولكنهم أجازوا هذا، كما أجازوا: دخلتُ البيتَ، وإنما معناه دخلتُ في البيتَ، والعامل فيه الفعلُ، قال: وليس (المنتصبُ) هاهنا بمنزلة (الظروف)؛ لأنك لو قلتَ: هو ظهرهَ وبطنه وأنتَ تعني شيئا على ظهره لم يَجْزُ، ولم يُجْزِوه في غيرِ الظهرِ والبطنِ والسَّهْلِ والجبلِ، كما لم يَجْزُ دخلتُ عبدَ الله، وكما لم يَجْزُ (حذفُ حرفِ الجرِّ) إلا في الأماكنِ، مثلُ دخلتُ البيتَ، واختصَّ قولهم: الظهرَ والبطنَ، والسَّهْلَ والجبلَ بهذا..."

ومن الموضوعات النحوية التي ذكرها ابن سيده، ما جاء عنده تعليقا على قول

كثير^(١):

وإني وتهيامي بعزة بعدما
تخلّيتُ مما بيننا وتخلّت

- ويغلب أن يكون تعليق ابن سيده من واقع كلام اللغويين القدامى قبله؛ ومن ذلك أنه كيف يبدأ التعليق من قول ابن جني، فيقول:- " قال ابن جني: سألت أبا عليّ فقلت: ما موضع، "تهيامي" من الإعراب؟ فأفتني بأنه مرفوعٌ بالابتداء وخبره قوله: "بعزة" وجعل الجملة التي هي "تهيامي بعزة" اعتراضا بين إن وخبرها، لأن في هذا أضرباً من التشديد للكلام، كما تقول: إنك - فاعلم - رجلٌ سوءٍ: وإنه - والحق أقول - جميلُ المذهب، وهذا الفصلُ والاعتراضُ الجاري مجرى التوكيد كثيرٌ في كلامهم..."

(١) المحكم: ٤م / ص ٣٩٠.

(٢) المحكم: ١٠م / ص ٥٧٩ - ٥٨٠.

ومنه ما ذكره في فصل (الميم والواو) [م و م]^(١)، فقال: "(ما): حَرْفٌ نَفْيٌ ويكونُ بِمَعْنَى الذي، ويكونُ بِمَعْنَى الشرطِ، وتكونُ عبارةً عن جميع أنواع النكرة موضوعةً موضعَ "مَنْ"، وتكونُ بِمَعْنَى: الاستفهام... وتكونُ للتعجبِ، وتكونُ زائدةً كافّةً وغير كافّةً، فالكافّةُ قولهم: إنما زيدٌ مُنْطَلِقٌ، وغيرُ الكافّةِ: إنما زيدًا مُنْطَلِقٌ، تُريدُ إن زيدًا مُنْطَلِقٌ، وفي التّنزيلِ: "فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" [النساء: ١٥٥]، و"عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ" [المؤمنون: ٤٠]، و"مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا" [نوح ٢٥].

قال اللحياني: (ما) مؤنّثة، وإنْ ذَكَرْتَ جاز، فأما قولُ أبي النّجم:

بِكَ [الله] نَجَّاكَ فِي مَسَلَمَتٍ مِنْ بَعْدِ (مَا) وَبَعْدِ (مَا) وَبَعْدِمَتٍ
صَارَتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغَلَصَمَتِ وَكَادَتْ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أُمْتُ

فإنّه أراد: وَبَعْدِ (ما)، فأبْدَلَ الألفَ هاءً، كما قال الآخرُ:

مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هُنَا

فلما صارت في التقدير: وَبَعْدِمَةً، أَشْبَهَتْ الهاءُ هُنَا هَاءَ التَّأْنِيثِ فِي نَحْوِ: مَسَلَمَةً وَطَلْحَةً وَأَصْلُ تِلْكَ إِنَّمَا هُوَ التَّاءُ فَشَبَّهَ الهاءُ فِي (وَبَعْدِمَةٍ) بهاءِ التَّأْنِيثِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ كَمَا يَقِفُ عَلَى مَا أَصْلُهُ التَّاءُ بِالتَّاءِ فِي مَسَلَمَتٍ وَالْغَلَصَمَتِ فَهَذَا قِيَاسُهُ...

ومنه تحليله لأسلوب الإضافة في^(١): "وسعيد كُرْزٍ: لقبٌ، قال سيبويه: إذا لَقِبْتَ مفرداً بمفرد أضفته إلى اللقب، وذلك قولك هذا سعيدُ كُرْزٍ، جعلت كُرْزاً معرفةً لأنك أردت المعرفة التي أردتها إذا قلت: هذا سعيد، فلو نكرت كُرْزاً صار سعيدُ نكرة؛ لأن المضاف إنما يكون نكرة ومعرفة بالمُضاف إليه، فيصير "كرز" هاهنا كأنه كان معرفة قبل ذلك ثم أُضيف إليه."

(١) المحكم: ٦م / ص ٧٣٦-٧٣٧.

ومن الموضوعات النحوية عند ابن سيده ذكره للنحت الذي هو انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما انتزعت منه كالبسمة من قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم) أو حرفين مثل: (إنما) من إن و ما...الخ.

وعند ابن سيده جاءت في فصل: (الثنائي المضاعف من المعتل) من فصل (الباء والهمزة) حكاية نحت صوت [ب أ ب أ]: "بَابَاتُ الرَّجُلِ وَبَابَاتُ بِهِ: قُلْتُ لَهُ: بِأَيِّ، أَوْ بِأَبًا. وقالوا: بِأَبًا الصَّبِيُّ أَبُوهُ، إِذَا قَالَ لَهُ: بِأَيِّ. وَبَابَاهُ الصَّبِيُّ، إِذَا قَالَ لَهُ: بِأَبًا. وَقَالَ الْفَرَاءُ: بِبَابَاتُ بِالصَّبِيِّ بِنَبَاءٍ إِذَا قُلْتُ: بِأَيِّ." (١)

– ثالثاً: الموضوعات الصرفية في المحكم:

ذكر ابن سيده من المعلومات الصرفية تلك التي تتعلق بالصحيح والزائد، من ذلك ما جاء في فصل (الهاء والقاف والراء) [هـ ق ر]: (٢) "الهُقُورُ: الطويل. (مقلوبه) [هـ ر ق]: اهرورق الدَّمْعُ والمطرُ: جَرِيًا، وليس من لفظ هَرَق؛ لأن هاء هَرَق مُبدلة، والكلمة مُعْتَلَّة، وأما اهرورق، فإنه وإن لم يُتكلم به إلا مزيداً مُتَوَهِّمٌ من أصلٍ ثلاثيٍّ صحيحٍ لا زيادة فيه؛ ولا يكون من لفظ أَهْرَق؛ لأن هاء أَهْرَق زائدة عوضاً عن حركة العين على ما ذهب إليه سيبويه في اسطاع..."

وجاء عند ابن سيده قوله (٣): "المَهُوُّ من السُّيُوف: الرِّقِيق، قال صَخْرُ الْغَيِّ:

وَصَارِمٌ أَخْلَصَتْ خَشِيبَتُهُ أَيْبُضُ مَهُوٍّ فِي مَتْنِهِ رُبْدُ

(١) المحكم: م ١٠/س ٥٥٣.

(٢) المحكم: م ٤/ص ١٢١.

(٣) المحكم: م ٤/ص ٤٤٢.

وقيل: هو الكثيرُ الفَرِنْدِ، وزنه فَلَغٌ مَقْلُوبٌ من لفظِ ماء، قال ابنُ جني: وذلك لأنه أُرِقَّ حتى صار كالماء."

ومن الأوزان الصرفية عند ابن سيدة^(١): "التخازر: استعمال الخَزَر، على ما استعمله سيبويه في بعض قوانين (تفاعل)؛ قال:

إذا تخازرتُ وما بي من خَزَرُ

فقوله: "وما بي من خَزَرُ" يدلُّ على أن التخازر هاهنا إظهار الخَزَر واستعماله."

ومن قانون الإبدال الصرفي عنده نجد قوله^(٢): "وَحَبَطَهُ بخير: أعطاه؛ قال علقمة بن عبدة:

وفي كُلِّ حَيٍّ حَبَطْتُ بِنِعْمَةٍ فحُقَّ لَشَأْسٍ من نَدَاكِ ذُنُوبُ

ويروى: قد حَبَطُ. أراد: حَبَطْتُ، فقلب التاء طاءً، وأدغم الطاء الأولى فيها. ولو قال (حَبَّتْ) يريد: حَبَطْتُ، لكان أقيس اللغتين؛ لأن هذه التاء ليست متصلة بما قبلها اتصال تاء (افْتَعَلْتُ) بمثالها الذي هي فيه، ولكنه شبه (حَبَطْتُ) بتاء (افْتَعَلْ) فقلبها طاءً لوقوع الطاء قبلها، كقولك: اطلَّعَ، واطَّرَدَ، وعلى هذا قالوا: فَحَصَّطُ بِرَجُلِي؛ كما قالوا: اصْطَبَّرَ. والخِبَاطُ: سمة تكون في الفخذِ عَرْضاً^(٣)."

(١) المحكم: م/٥٤ ص ٩٤.

(٢) المحكم: م/٥٥ ص ١٢٥.

(٣) الوزن مع الإبدال: إن معرفة المماثلة في الإبدال قبل وزن الكلمة صرفياً معرفة مهمة، وأن الحديث يركز على وزن [افْتَعَلَ]، ومشتقاتها: افْتَعَلَ، مُفْتَعَلٌ، مُفْتَعَلَةٌ... فوزن كلمة (ازْدَان) هو ← افْتَعَلَ ع لَ ← افْتَعَلَ: وتكون من الفعل (زان) أي أن الحرف الثاني في الكلمة هو فاء حرف الميزان " افْتَعَلَ " والحرف الثالث هو تاء الوزن، وعينه ولامه (الألف و النون). وكذلك في الفعل (ازْدَهَرَ) على وزن ←

ونجد أن ابن سيده صاحب إيجاز، وتجنب للتكرار، وحذف للصيغ القياسية، والشواهد مع حفاظه على القاعدة الصرفية، ويعبر عن هذا في مقدمته بقوله: " كقول أبي عبيد: سمعت الشيباني يقول: الأنوف: يقال لها المخاطم، واحدها: مخطم. وقلت أنا في تعبيره: المخطم: الأنف. وغنيت عما سوى ذلك، لأنه إذا كانت الكلمة مفعلاً فجمعها مفاعل..."^(١)

وجاء عنده في الصرف قوله في حرف الواو: وذكره من خلال الفعل (الثلاثي اللفيف) في فصل [و ي و]^(٢): "وَأَوْ حَرْفٌ هِجَاءٌ وَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ وَآوٍ وَيَاءٍ وَوَآوٍ وَهِيَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ يَكُونُ أَصْلًا وَزَائِدًا وَبَدَلًا؛ فَالْأَصْلُ نَحْوُ: وَرَلٍ وَسَوَطٍ وَدَلَوٍ، وَتُبْدَلُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وَهِيَ الْهَمْزَةُ وَالْأَلِفُ وَالْيَاءُ، فَأَمَّا إِبْدَالُهَا مِنَ الْهَمْزَةِ فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ، أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ أَصْلًا، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ بَدَلًا، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً؛ أَمَّا إِبْدَالُهَا مِنْهَا وَهِيَ أَصْلٌ، فَإِنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ مَفْتُوحَةً وَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ، فَمَتَى آثَرَتْ تَخْفِيفَ الْهَمْزَةِ قَلْبَتَهَا وَآوًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي جُؤْنٍ: جُؤْنٌ، وَفِي تَخْفِيفٍ هُوَ يَضْرِبُ أَبَاكَ: هُوَ يَضْرِبُ وَبَاكَ؛ فَالْوَاوُ هُنَا مُخْلِصَةٌ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ بَقِيَّةِ الْهَمْزَةِ .

وَأَمَّا إِبْدَالُ الْوَآوِ مِنَ الْهَمْزَةِ الْمُبْدَلَةِ فَقَوْلُهُمْ فِي: يَمْلِكُ أَحَدَ عَشَرَ: هُوَ يَمْلِكُ وَحَدَ عَشَرَ، وَفِي: يَضْرِبُ أَنَا: يَضْرِبُ وَنَاةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي أَحَدٍ وَأَنَاةٍ بَدَلٌ مِنْ وَآوٍ، وَقَدْ أَبْدَلْتُ الْوَآوِ مِنْ هَمْزَةِ التَّأْنِيثِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ الْأَلِفِ فِي نَحْوِ: حَمْرَاوَانٍ وَصَحْرَاوَاتٍ وَصَفْرَاوِيٍّ، وَأَمَّا إِبْدَالُهَا مِنَ الْهَمْزَةِ الزَّائِدَةِ فَقَوْلُكَ فِي تَخْفِيفٍ: هَذَا غُلَامٌ أَحْمَدَ: هَذَا غُلَامٌ وَحَمَدَ، وَهُوَ يُكْرِمُ أَصْرَمَ: وَهُوَ يُكْرِمُ وَصْرَمَ. وَأَمَّا إِبْدَالُ الْوَآوِ مِنَ الْأَلِفِ الْأَصْلِيَّةِ فَقَوْلُكَ فِي تَنْثِيَةِ (إِلَى) وَ(لَدَى)...

= اقْتَعَلَ، وَالْمَصْدَرُ (اِسْتَم) عَلَى وَزْنِ ← اقْتَعَالَ... وَهَكَذَا.

(١) المحكم: ١٠م / ٣٨ص.

(٢) المحكم: ١٠م / ٦٠٤-٦٠٥ص.

وقد قالوا: مُوَأَوَةٌ؛ هذا قولُ صاحبِ العَيْنِ،^(١) وقد خَرَجَتْ وَאוٌ بدليلِ التَّصْرِيفِ إلى أن في الكلامِ مِثْلَ: وَعَوْتُ، الذي نفاه سيبويه؛ لأنَّ أَلِفَ وَاوٍ لا تكونُ إِلَّا مُنْقَلِبَةً، كما أنَّ كُلَّ أَلِفٍ على هذه الصُّورَةِ لا تَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ، وإذا كانت مُنْقَلِبَةً فلا تخلو من أن تكونَ عَنِ الواوِ أَوْ عَنِ الياءِ، إذْ لا هَمْزَ هُنَا فلا تَكُونُ عَنِ الواوِ، لأنَّهُ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ كانت حُرُوفُ الْكَلِمَةِ وَاحِدَةً، ولا نَعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ الْبَيِّنَةِ إِلَّا بَيِّنَةً، وما عَرَّبَ كَالْكَكِّ، فإذا بَطَلَ انْقِلَابُهَا عَنِ الْوَائِ ثَبَتَ أَنَّهُ عَنِ الياءِ، فَخَرَجَ إِلَى بَابِ وَعَوْتُ عَلَى الشُّذُودِ.

وحكى ثَعْلَبٌ: وَوَيْتُ وَاوًا حَسَنَةً عَمِلْتُهَا، فَإِنَّ صَحَّ هَذَا جازَ أَنْ تكونَ الْكَلِمَةُ من: (وَاوٍ، وَاوٍ، يَا) وَجازَ أَنْ تكونَ من: (وَاوٍ، وَاوٍ، وَاوٍ) فكانَ الْحُكْمُ على هذا: وَوَوْتُ، غَيْرَ أَنَّ مُجَاوَرَةَ الثَّلَاثَةِ قَلَبَتِ الْوَائِ الْأَخِيرَةَ يَاءً، وَحَمَلَهَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ على أَنَّهَا مُنْقَلِبَةٌ مِنْ وَاوٍ وَاسْتَدَلَّ على ذَلِكَ بِتَفْخِيمِ الْعَرَبِ إِيَّاهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْإِمَالَةَ فِيهَا، فَقَضَى لِذَلِكَ بِأَنَّهَا مِنَ الْوَائِ، وَجَعَلَ حُرُوفَ الْكَلِمَةِ كُلَّهَا وَاوَاتٍ.

قال ابنُ جَنِيٍّ: ورَأَيْتُ أبا عَلِيٍّ يُنْكِرُ هَذَا الْقَوْلَ، وَيَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْأَلِفَ فِيهَا مُنْقَلِبَةٌ عَنِ ياءٍ، وَاعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ على أَنَّهُ إِنْ جَعَلَهَا مِنَ الْوَائِ؛ كانتِ الْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ كُلُّهَا لَفْظًا وَاحِدًا؛ قالَ أَبُو عَلِيٍّ: وهو غَيْرُ مَوْجُودٍ. قالَ ابنُ جَنِيٍّ: فَعَدَلَ إلى الْقَضَاءِ بِأَنَّهَا مِنْ ياءٍ وَلَسْتُ أرى بما أَنْكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ على أَبِي الْحَسَنِ بَأْسًا، وَذَلِكَ أَنَّ أبا عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَ كَرِهَ ذَلِكَ لِنَلَا تَصِيرَ حُرُوفُهَا كُلُّهَا وَاوَاتٍ، فَإِنَّهُ إِذَا قَضَى بِأَنَّ الْأَلِفَ مِنْ ياءٍ لَتَخْتَلِفَ الْحُرُوفُ فَقَدْ حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ لَفْظٌ لَا نَظِيرَ لَهُ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ حَرْفٌ فَاوُهُ وَاوٌ وَلَا مُمُ وَاوٌ إِلَّا قَوْلُنَا: وَاوٍ؟ فَإِذَا كَانَ

(١) في قوله هذا احترام لمن سبقه. وأمانة علمية لما ينقله عن سبقه. ويظن الباحث أن بعض كلامه في الفقرة غير معروف النسبة؛ فيختلط الكلام بعده لآراء العلماء الذين سبقوه، فنحتاج إلى متابعة، وفي البعض القليل تضييع العبارة فلا تستطيع تحديد نسبتها صراحة، ويكون الجواب صعباً "هل الكلام لابن سيده أم لمن ينقل عنه؟".

قضاؤه بأن الألف من ياء لا يُخرجُهُ مِنْ أَنْ يكونَ الحرفُ فذاً نادراً لا نظيرَ له، فقضاؤه بأنَّ العينَ واوٌ أيضاً ليسَ بِمُنْكَرٍ، ويُعَضِّدُ ذلكَ أيضاً شَيئَانِ؛ أَحَدُهُمَا: ما وصَّى به سيبويه، مِنْ أَنْ الألفَ إذا كانتْ في مَوْضِعِ العينِ فَانْ تكونَ مُنْقَلَبَةً عَنِ الواوِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تكونَ مُنْقَلَبَةً عَنِ الياءِ.

والآخر: ما حكاه أبو الحسنِ مِنْ أَنَّهُ لم يَسْمَعْ عَنْهُمْ فيها الإِمَالَةَ، وهذا أيضاً يؤكدُ أنها مِنْ الواوِ... وَإِنْ قَضَيْتُ بِأَنَّ الفَاءَ واللامَ واوَانِ، وكانَ هذا ممَّا لا نظيرَ، له فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ العربَ جَعَلَتِ الفَاءَ واللامَ مِنْ لَفْظٍ واحدٍ...

ولابن سيدة رأي وحكم على النسب في الصرف، جاء ذلك في قوله^(١): " طَيِّءٌ: قَبِيلَةٌ، والنَّسَبُ إليها طَائِيٌّ، على غيرِ قِياسٍ، وقِيَّاسُهُ طَيِّئٌ، كما قِيلَ في النَّسَبِ إلى طَيِّبٍ: طَيِّئٌ، كَرَاهِيَةِ الْكَسَرَاتِ والياءاتِ، وأَبْدَلُوا الألفَ مِنَ الياءِ، كما أَبْدَلُوها مِنْها في رَبَّائِي..."

ومنها في الأوزان إذ يعطي جواباً طويلاً ويناقش ابن جني، فيقول^(٢): "فإن قيل: فإذا كان أصلها عوياء وقد اجتمعت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون، وهذه حال توجب قلب الواو ياءً، وليست تقتضي قلب الياء واواً، ألا تراهم قالوا طَوَيْتُ طَيًّا وشَوَيْتُ شَيًّا. فالجواب: أن فعلى إذا كانت اسماً لا وصفاً وكانت لامها ياءً فُلبتْ ياؤها واواً وذلك نحو التقوى، أصلها وقى لأنها فعلى من وقَّيتُ، والثنوى وهي فعلى من تَنَيْتُ، والبقوى وهي فعلى من بَقَّيتُ، والرعوى وهي فعلى من رَعَيْتُ، فكَذلك العوى فعلى من عَوَيْتُ، وهي مع ذلك اسمٌ لا صفةٌ بمنزلة التقوى والبقوى والفتوى فُقلبتْ الياء التي هي لامٌ واواً وقبلها العينُ التي هي واوٌ، فالتنقتُ واوانِ، الأولى ساكنةٌ فأُدْغِمَتْ في الآخرة فصارت عوى كما ترى، ولو كانت فعلى

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٥٠.

(٢) المحكم: ٢م / ص ٣٨٣.

صفةً لما قلبت ياؤها واواً ولبقيت بحالها نحو: الخَزْيَا والصَّدْيَا ولو كانت قبلَ هذه الياءِ واوٌ لقلبَتِ الواوُ ياءً كما يجب في الواوِ والياءِ إذا التقتا وسكَنَ الأوَّلُ منهما. وذلك نحو مرأةً طَيًّا ورِيًّا وأصلُهما طَوِيًّا..."

ومن قوله في التصغير نقلاً عن سيبويه قوله: "وتَصْغِيرُ الصَّغِيرِ: صُغَيْرٌ، وصُغَيْرٌ؛ الأولى على قياس، والأخرى على غير قياس؛ حكاها سيبويه."^(١)

- رابعا: الموضوعات العروضية في المحكم^(٢):

من الموضوعات المتكررة كثيراً في معجم ابن سيده المحكم والمحيط الأعظم، موضوعات علم العروض والقافية، والأمر ملحوظ، وتكاد تجمع ما كتبه فتستنتج أن ما كتبه هو كتاب في العروض تامٌ لا ينقصه شيء.

وسيقف الباحث عند واحدة من استشهاده فقط من كل موضوع عروضي، من ذلك ما ذكره ابن سيده في المحكم ما قاله الأخفش عن المجرى^(٣): "والمجرى في الشعر: حركة حرف الروي فتحتة وضمته وكسرتة وليس في الروي المقيد مجرى؛ لأنه لا حركة فيه فتسمى مجرى... قال ابن جني: سمي الروي بذلك لأن الصوت يبتدئ بالجريان في حروف الوصل منه، ألا ترى أنك إذا قلت:

(١) المحكم: ٥/ص ٤٢١ .

(٢) ذكر عبد القادر عبد الجليل أن ابن سيده كان ميالاً إلى إغراق معجمه بالمصطلحات العروضية ذات الصبغة المنطقية - بخلفيته في علم المنطق - ويعلل ذلك إلى أنه يقتطف تلك المصطلحات العروضية من كتابه الذي كثيراً ما يلوح به "الوافي في علم القوافي"، و كأنه يوجز محتويات الوافي بالمحكم مما جعله يعثر عثرات واضحة. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية "دراسة في البنية التركيبية"، ص ١٨٥ .

(٣) المحكم: ٧/ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .

قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا

فالفتحة في العين هي ابتداء جريان الصوت في الألف وكذلك قولك:

يا دار مية بالعلياء فالسند

تجد كسرة الدال هي ابتداء جريان الصوت في الياء وكذلك قوله:

هريرة ودعها وإن لام لائمو

تجد ضمة الميم منها ابتداء جريان الصوت في الواو، فأما قول سيبويه: هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية، وهي تجرى على ثمانية مجار. فلم يقصر المجاري هنا على الحركات فقط كما قصر العروضيون المجري في القافية على حركة حرف الروي دون سكونه، لكن غرض صاحب الكتاب في قوله: مجاري أواخر الكلم: أي أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصور التي تتشكل لها، فإذا كانت أحوالا وأحكاما فسكون الساكن حال له، كما أن حركة المتحرك حال له أيضا، فمن هنا سقط تعقب من تتبعه في هذا الموضع فقال: كيف ذكر الوقف والسكون في المجاري، وإنما المجاري - فيما ظنه - الحركات، وسبب ذلك خفاء غرض صاحب الكتاب عليه، وكيف يجوز أن يسلط الظن على أقل اتباع سيبويه فيما يلطف عن هذا الجلي الواضح فضلا عنه نفسه فيه، افتراه يريد الحركة ويذكر السكون؟ هذه غباوة ممن أوردوها، وضعف نظر وطريقة دل على سلوكه إياها. قال: أو لم يسمع هذا المنتبِع بهذا القدر قول الكافة: أنت تجري عندي مجرى فلان، وهذا جار مجرى هذا. فهل يراد بذلك، أنت تتحرك عندي بحركته، أو يراد: صورتك عندي صورته، وحالك في نفسي ومعتقدي حاله؟^(١)

(١) حرف الرّويّ - باتفاق علماء العروض - من حروف القافية، وهو الحرف الذي يختاره الشاعر من الحروف الصالحة، فيبني عليه قصيدته، ويلتزمه في جميع أبياتها، وإليه تنسب القصيدة؛ فيقال: قصيدة (همزية) إن كانت الهمزة هي الرّويّ، أو (لامية) إن كانت اللام

ومنها ما علق ابن سيده عليه في ما أنشده ابن الأعرابي:

تُمَتَّ أَعْلَى رَأْسَهُ الْمَلُوظُ

وإنما حملته على فِعُولٍ دُونَ مَفْعَلٍ؛ لأنَّ في الكلام فِعُولًا وَلَيْسَ فِيهِ مَفْعَلٌ. وقد يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "مَلُوظٌ" مَفْعَلًا، ثم يُوقَفُ عليه بالتشديد، فيقال: مَلُوظٌ ثم إِنَّ الشاعرَ احتاجَ فَأَجْرَاهُ في الوَصْلِ مُجَرِّى الوقْف...^(١)

ومنه قوله^(٢) في:

قَفَرٌ فَيَافٍ تَرَى ثَوْرَ النَّعَاجِ بِهَا يَرُوحُ فَرْدًا وَيَلْقَى إِفَهُ طَاوِيَهُ

"وهذا من شاذِّ البسيط؛ لأنَّ قوله: طَاوِيَهُ - فاعِلُنْ، وَضَرْبُ البسيطِ لا يَأْتِي عَلَى فاعِلُنْ، والذي حَكَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ وَعِزَّاهُ إِلَى الْأَخْفَشِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سئِلَ أَنْ يَصْنَعَ بَيْتًا تَامًا من البسيطِ فَصَنَعَ هَذَا الْبَيْتَ، وهذا ليسَ بِحُجَّةٍ فَيُعْتَدُّ بِفَاعِلُنْ ضَرْبًا في البسيطِ؛ إنما هو مَوْضُوعُ الدَّائِرَةِ، فَأَمَّا الْمُسْتَعْمَلُ فَفَعِلُنْ وَفَعْلُنْ."^(٣)

ومن معلومات ابن سيده العروضية المذكورة في المحكم تعريفه للإضمار بأنه^(٤):

=هي الرَّوْيُ كلامية العرب المشهورة للشنفرى، وسمي رويًا؛ لأن أصل (رَوَى) في كلام العرب للجمع والاتصال والضم، ومنه الرِّوَاء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والمتاع ليضمها، وكذلك حرف الرَّوْيِ ينضم ويجمع إليه جميع حروف البيت؛ فلذلك سمي رويًا.

(١) المحكم: م ١٠ / ص ٣٠.

(٢) المحكم: م ١٠ / ص ٤٠٤.

(٣) الضرب: هو آخر تفعيلة في الشطر الثاني. و وزن البحر البسيط بحسب الدائرة العروضية:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

والبحر البسيط من دائرة الْمُخْتَلِفِ التي تضم ثلاثة أبحر مستعملة وهي: الطَوِيلُ والمَدِيدُ والبَسِيطُ، وبحرين مهملين هما: المستطيل أو الوسيط، والممتد أو الوسيم، وسميت هذه الدائرة بهذا الاسم لاختلاف أجزائها بين خماسية (فَعُولُنْ)، و (فَاعِلُنْ)، وسباعية (مَفَاعِلُنْ)، و (مُسْتَفْعِلُنْ) وقد استشهد ابن سيده به على ضابطه - أي شهرة استخدامه من تأليف مفتاحه هكذا -

إِنَّ الْبَسِيطَ لَدَيْهِ يُبْسَطُ الْأَمْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

(٤) المحكم: م ٨ / ص ٢٠٠.

"سُكُونُ النَّاءِ مِنْ مُتَّفَاعِلُنْ فِي الْكَامِلِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَّفَاعِلُنْ، وَهَذَا بِنَاءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ فَنَقُلْ إِلَى بِنَاءِ مَعْقُولٍ، وَهُوَ مُسْتَفْعِلُنْ، كَقَوْلِ عَنَتْرَةَ:

إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصِلِ

فَكَلَّ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ مُسْتَفْعِلُنْ، وَأَصْلُهُ فِي الدَّائِرَةِ مُتَّفَاعِلُنْ" (١).

وَمِنْ مَعْلُومَاتِهِ الْعَرُوضِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمَحْكَمِ تَحْلِيلُهُ لِقَافِيَةِ الْمَتَدَارِكِ فِي الشَّعْرِ، إِذْ يَقُولُ: "وَالْمَتَدَارِكُ مِنَ الشَّعْرِ: كُلُّ قَافِيَةٍ تَوَالِي فِيهَا حَرْفَانِ مُتَحَرِّكَانِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، وَهِيَ "مُتَّفَاعِلُنْ" وَ"مُسْتَفْعِلُنْ" وَ"مَفَاعِلُنْ" وَ"فَعْلُنْ" إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى حَرْفِ سَاكِنٍ نَحْوَ "فَعُولُنْ فَعْلُنْ" فَالْلَامُ مِنْ "فَعْلُنْ" سَاكِنَةٌ، وَالنُّونُ مِنْ "فَعُولُنْ" سَاكِنَةٌ وَ"فَلُنْ" إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى حَرْفِ مُتَحَرِّكٍ نَحْوَ: "فَعُولُنْ فَلُنْ" اللَّامُ مِنْ "فَلُنْ" سَاكِنَةٌ وَالْوَاوُ مِنْ "فَعُولُنْ" سَاكِنَةٌ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِتَوَالِي حَرَكَتَيْنِ فِيهَا..." (٢)

وَمِنْهُ مَا قَالَهُ فِي بَحْرِ الطَّوِيلِ مِنَ الشَّعْرِ، بِأَنَّهُ "سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطُولُ الشَّعْرِ كُلُّهُ، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَهُ ثَمَانِيَّةٌ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا، وَأَكْثَرُ حُرُوفِ الشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ دَائِرَتِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا، وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: سُمِّيَ طَوِيلًا لِأَنَّهُ أَطُولُ الْأَعَارِيضِ الثَّلَاثَةِ، الطَّوِيلِ وَالْمَدِيدِ وَالْبَسِيطِ، وَأَكْثَرُهَا حُرُوفًا، وَلَئِنْ أَوْتَادَهُ مُبْتَدَأُهَا، فَالطَّوِيلُ لَمْ تَقْدَمْ أَجْزَائُهُ لِأَزِمٍ أَبَدًا؛ لِأَنَّ أَوَائِلَ أَجْزَائِهِ أَوْتَادٌ، وَالذَّوَائِرُ أَبَدًا يَتَقَدَّمُ أَبْنِيَائُهَا مَا أَوَّلُهُ وَتَدَّ" (٣)

(١) المحكم: ٨م / ص ١٩٩ - ٢٠٠. ووزن البحر الكامل بحسب الدائرة العروضية:

مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ

ويجوز في حشو الكامل أن يدخله زحاف: الإضممار وهو (تسكين الثاني المتحرك) فتصبح به (مُتَّفَاعِلُنْ): (مُتَّفَاعِلُنْ)،

وهو حسن وربما دخل جميع التفعيلات فاشتبه ببحر الرجز، وهو ما يرمي إليه ابن سيده.

(٢) المحكم: ٦م / ص ٧٥٠.

(٣) المحكم: ٩م / ص ٢٣٥.

ويعلل ابن سيده اسم الزحاف بالمتعارف عليه، دون أن يشير إلى من سماه أول الأمر، فيقول: " والطي في العروض: حذف الرابع من (مُسْتَعْلَن)، و (مَفْعُولَات)، فَيَبْقَى (مُسْتَعْلَن) و (مَفْعَلَات) فَتَنْقَلُ مُسْتَعْلَنُ إِلَى مُفْتَعْلَن، ومَفْعَلَاتُ إِلَى فَاعِلَاتُ، يكون ذلك في البسيط والرجز والمنسرح، وإنما سمي هذا الجزء إذا كان كذلك مطوياً، لأنَّ رابعه وسطه على الاستواء، فشبهه بالثوب الذي يعطف من وسطه. "(١)

ويعلل تسمية حرف القافية (الردف)، وينشئ حواراً مفيداً هذه نصه: " الردف في القافية إنما يجيء قبل حرف الروي لا بعده، فكيف جاز لك أن تشبهه به، والأمر في القضية بضد ما قدّمته؟

قلت: فالجواب أن الردف وإن سبق في اللفظ الروي فإنه لا يخرج مما ذكرناه، وذلك أن القافية كما كانت وهي آخر البيت وجهاً له، وحلية لصنعه، فكذلك أيضاً آخر القافية زينة لها ووجه لصنعتها، فعلى هذا يجب أن يقع الاعتداد بالقافية، والاعتناء بآخرها أكثر منه بأولها، وإذا كان كذلك فالروي أقرب إلى آخر القافية من الردف، فبه وقع الابتداء في الاعتداد، ثم تلاه الاعتداد بالردف، فقد صار الردف كما تراه - وإن سبق الروي لفظاً - تبعاً له تقديراً ومعنى، فلذلك جاز أن يشبه الردف قبل الروي بالردف بعد الراكب. "(٢)

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٥٤.

(٢) المحكم: ٩م / ص ٣٠٤.

- خامساً: أسماء الأعلام عند ابن سيده:

يمكن القول دلاليًا إن أسماء الأعلام هي أسماء أشخاص أو أماكن (مثل البلدان، والمدن، والجبال، والأنهار... الخ)، أو أحداث (مثل أسماء الأعياد، والوقائع... الخ) وجاء من ذلك عند ابن سيده^(١) قوله عن الاسم العلم: "وهناة: اسم، وهو أخو مُعَاوِيَةَ بن عمرو بن مالك أخِي هُناة، ونِواء، وفَراهِيد، وجَذِيمَةُ الأبرش. المِهْوَآنُ: المكان البعيد، وهو مثلاً لم يذكره سيويوه". وكذلك من النبات ورد عنده: "والهَلْيُون"^(٢): نَبْتُ عَرَبِيٍّ معروف".

في الأصل لا يُعنى المعجم بأسماء الأعلام، وإنما بالمواد المعجمية. فمكان أسماء الأعلام هو الموسوعات والمعاجم الموسوعية. ولهذا فإن هذه المداخل تسمى بالمواد غير المعجمية أو المواد الموسوعية.

ومن أسماء الأماكن عند ابن سيده قوله عن (مكة والشام واليمن): "تَهَامَةُ"^(٣): اسم مكة. يجوز أن يكون اشتقاقه من هذا، ويجوز أن يكون من الأول؛ (تَهَمَ الذَّهْنُ واللحمُ تَهَمًا، فهو تَهَمٌ: تغير، وفيه تَهَمَه، أي خُبْتُ رِيح... والتَّهَمُ: شِدَّةُ الحرِّ وركودُ الرِّيح) لأنها سفلت عن نجد فخبث ريحها، والنسب إليها تَهَامٌ على غير قياس، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيٍّ أو تَهَمِيٍّ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها.

(١) المحكم: م ٤/ص ٣٦٠ وانظر علي القاسمي: ترتيب مداخل المعجم، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، م ١٩، ج ١، ١٩٨٢م، ص ١٤ - ٢٩.

(٢) المحكم: م ٤/ص ٣٨٢.

(٣) المحكم: م ٤/ص ٣٨٣.

قال ابن جني: هذا يدلك على أن الشئيين إذا اكتنفا الشيء من ناحيتيه تقاربت حالاهما وحالاه بهما، ولأجله وبسببه ما ذهب قوم إلى أن حركة الحرف تحدث قبله، وآخرون إلى إنها تحدث بعده، وآخرون إلى إنها تحدث معه، قال أبو علي: وذلك لغموض الأمر وشدة القرب، وكذلك القول في شام ويمن. فإن قلت: فإن في تهامة ألفا فلم ذهبت في تهام إلى أن الألف عوض من إحدى ياءي الإضافة؟ قيل: قال الخليل في هذا: إنهم كأنهم نسبوا إلى فعل أو فعل، فكأنهم فكوا صيغة تهامة، فأصاروها إلى تَهَمٍ أو تَهَمٍ، ثم أضافوا إليه فقالوا: تَهَامٍ، وإنما مثل الخليل بين فَعَلٍ وفَعَلٍ ولم يقطع بأحدهما، لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً، وهما الشام واليمن. قال ابن جني: وهذا الترخيم الذي أشرف عليه الخليل ظنا قد جاء به السماع نصاً، أنشد أبو علي قال: أنشد أحمد بن يحيى:

أَرَقَّنِي اللَّيْلَةَ بَرَقٌ بِالتَّهَمِ

يَالِكَ بَرَقًا مَنْ يَشُقُّهُ لَا يَنْمُ "

ومن ذكر اسم المكان عند ابن سيده قوله^(١): "وأخشبا مكة: جبلاها، لذلك. وأخشب

الصَّمَان: جبال اجتمعت بالصَّمَان في محلة بني تميم، ليسقر بها أكمة ولا جبل".

ويرتبط المكان عند ابن سيده بذكره في الشعر، وبه يستشهد، فيقول^(٢): "وطيخ:

موضع بين ذي خشب ووادي القرى؛ قال كثير عزة:

فوالله ما أدري أطيخاً تواعدوا لَتِمْتُ ظَمِ أم ماء حَيِّدة أوردوا "

(١) المحكم: ٥م / ص ٣٣.

(٢) المحكم: ٥م / ص ٢٥٢.

ومنه قوله في " (غَرُّ)^(١) : موضع؛ - يستشهد - قال هميان بن قحافة:

أقبلتُ أمشي وبغرٍّ كوري
وكان غرٌّ منزَل الغرور

ومن الأسماء التي اشتقت من صفاتها قوله^(٢) : "مُضِرُّ: اسمُ رجلٍ، قيل: سُمِّيَ به لأنه كان مولعاً بشرب اللبن المَاضِرِ، وقيل: سُمِّيَ به لِبَيَاضِهِ... وتَماضِرُ: اسمُ امرأةٍ، مُشْتَقٌّ من ذلك، قال ابنُ دُرَيْدٍ: أَحْسَبُهُ من اللَّبَنِ المَاضِرِ... ورمضان: من أسماء الشهور معروف، قال - دون أن ينسبه -:

جاريةٌ في رَمَضانَ الماضي

تَقَطُّعُ الحديثِ بالإيماضِ

أي: إذا تَبَسَّمتَ قَطَعَ الناسُ حَدِيثَهُمْ ونَظَرُوا إلى ثَغْرِها، قال أبو عَمْرٍو مُطَرِّزٌ: هذا خطأ، الإيماضُ لا يَكُونُ في الفمِ إنما يَكُونُ في العَيْنَيْنِ، وذلك أنهم كانوا يتحدثون، فنَظَرَتْ إليهم فاشتعلوا بحُسنِ نَظَرِها عن الحديثِ، وَمَضَتْ، والجمعُ رَمَضانَاتٌ، ورَمَاضِينُ، وأَرْمِضَةٌ، وأَرْمُضٌ، عن بعضِ أهلِ اللُّغةِ، وليس هذا بِثَبَتٍ، قال مُطَرِّزٌ: كان مُجاهِدٌ يكره أن يُجْمَعَ رَمَضانُ، ويقول: بَلَّغَنِي أَنَّهُ اسمٌ من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، قال ابنُ دُرَيْدٍ: لما نَقَلُوا أسماءَ الشهورِ عن اللغةِ القديمة سَمَّوها بِالْأَزْمِنَةِ التي هي فيها، فوافقَ رَمَضانُ أيامَ رَمَضِ الحرِّ، فَسُمِّيَ به..."

ومما قال ابن سيده عن الأسماء^(٣) : "وتَيْمٌ: قَبِيلَةٌ. وفي العَرَبِ بَنُو تَيْمٍ بنِ مَرَّةَ، منهم أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وبَنُو تَيْمٍ بنِ غالِبٍ، وَمِنْهُمْ تَيْمٌ الأَدْرَمُ من قُرَيْشٍ. وبَنُو تَيْمٍ: بَطْنٌ

(١) المحكم: ٥م/ص ٣٦٦.

(٢) المحكم: ٨م/ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) المحكم: ٩م/ص ٥٢٨.

من الرِّبَابِ. وَبَنُو تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ... وقال عن "مَنْظُورٍ: اسمُ رَجُلٍ، وَمَنْظُورٍ: اسمُ جَنِيِّ".^(١) ومنه قوله في تفسير (ن و ط) ومقلوبه^(٢): "والتَّنَوُّطُ والتَّنَوُّطُ: طَائِرٌ نَحْوُ الْقَارِيَةِ سَوَادًا تُرَكَّبُ عُشَّهَا بَيْنَ عُودَيْنِ، أَوْ عَلَى عُودٍ وَاحِدٍ، فَتُطِيلُ عُشَّهَا، فَلَا يَصِلُ الرَّجُلُ إِلَى بَيْضِهَا حَتَّى يُدْخَلَ يَدُهُ إِلَى الْمَنْكَبِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْبَصْرِيَّاتِ: هُوَ طَائِرٌ يَلْقَى قُشُورًا مِنْ قُشُورِ الشَّجَرِ، وَيُعَشِّشُ فِي أَطْرَافِهَا لِيَحْفَظَهُ مِنَ الْحَيَّاتِ وَالنَّاسِ وَالذَّرِّ..."

ومنه قوله^(٣): "وَحَنَعَمٌ: اسمُ جَبَلٍ. وَحَنَعَمٌ قَبِيلَةٌ أَيْضًا، وَقِيلَ: حَنَعَمٌ اسمُ جَمَلٍ سُمِّيَ بِهِ حَنَعَمٌ".

ومما قاله ابن سيده في الأسماء، ما نقله من قول أبي حنيفة، في معنى "الكراث: شجرة جبلية لها خطرة ناعمة، إذا فُدِغَتْ هُرِيقَتْ لَبْنًا، وَالنَّاسُ يَسْتَمْشُونَ بِلَبْنِهَا، قَالَ: وَيُؤْتَى بِالْمَجْذُومِ حَتَّى يُتَوَسَّطَ مَنَبِتِ الْكَرَاثِ فَيَقِيمُ فِيهِ، وَيُخْلَطُ لَهُ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَبْرَأَ مِنْ جُذَامِهِ، وَتَذْهَبُ قُوَّتُهُ، يَعْنِي: قُوَّةَ الْجُذَامِ، قَالَ: وَقَالَ الْأَزْدِيُّ: لَا أَعْرِفُهُ يَنْبِتُ إِلَّا بِذِي كَشَاءٍ، قَالَ: وَيَزْعَمُونَ أَنْ جَنِيَّةً قَالَتْ: مَنْ أَرَادَ الشِّفَاءَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَعَلِيهِ بِنَبَاتِ الْبُرْقَةِ مِنْ ذَاتِ كَشَاءٍ".^(٤)

وكذلك قوله في معنى "العَفَّاسُ: طَائِرٌ - واشتق اسمه من صفته - يَنْعَفِسُ فِي الْمَاءِ -

ثم قال: - والعَفَّاسُ: اسم ناقة. قال الراعي:

وَإِنْ بَرَكْتَ مِنْهَا عَجَاسًا جِلَّةً بِمَحْنِيَّةٍ أَشْلَى الْعَفَّاسِ وَبَرُوعًا^(٥)

(١) المحكم: ١٠م / ١٦ص.

(٢) المحكم: ٩م / ٢٤١ص.

(٣) المحكم: ٢م / ٣٩٥ص.

(٤) المحكم: ٦م / ٧٩٤ص.

(٥) المحكم: ١م / ٤٩٨ص.

ويذكر أسماء اعلام دون الإشارة لمصدر معلومته، من ذلك قوله: "و (أُورِيَا): رجل من بني إسرائيل وهو زوج المرأة التي فتن بها داود عليه السلام"^(١).

في حين أنه يصوب خطأ شائعاً عند الناس، وينسب القول لسيبويه، في اسم (ريا)، فيقول: "وأما (رَبِّيَا) التي يُظَنُّ بها أنها من أسماء النساء، فإنه صفة على نحو الحارث. وإن لم يكن فيها اللام اتخذوا صِحَّةَ الياء بدلاً من اللام. ولو كانت على نحو زيدٍ من العَلَمِيَّة، لكانت رَوَّى من رَوَيْتُ، وكان أصلها (رَوِّيَا)، فقلبت الياء واوًا، لأن [فُعَلَى] إذا كانت اسمًا ولامها ياءً قلبت إلى الواو، كتَقَوَّى وشرَوَّى، وإن كانت صفةً صَحَّتِ الياءُ فيها كَصَدَيَّا وخَزَيَّا. هذا كلام سيبويه وزدته أنا بياناً"^(٢).

- سادساً: الأساطير:

من المعلومات الأخرى التي ضمنها ابن سيده معجمه الأساطير، وذكر من ذلك معنى كلمة (الجوف)^(٣) "بأنها: موضع باليمن. والجوف: اليمامة. وجوف حمار، جوف الحمار: وهو واد منسوب إلى حمار بن مويلع رجل من بقايا عاد، أشرك بالله فأرسل عليه صاعقة أحرقته فصار ملعباً للجن لا يتجرأ على سلوكه، وبه فسر بعضهم قوله - لم ينسبه ابن سيده لاسم -:

وخرق كجوف العير قفر مضلة

أراد كجوف الحمار فلم يستقم له فوضع العير موضعه لأنه في معناه... وهذا من الأساطير والمبالغة في التفسير والاستشهاد.

(١) المحكم: م١٠/ص ٣٥١.

(٢) المحكم: م١٠/ص ٣٥٢.

(٣) المحكم: م٧/ص ٥٦٤.

ومن الأساطير قول ابن سيده^(١): "والشَّمَالُ من الرِّيحِ: التي تَأْتِي من قِبَلِ الحِجْرِ. وقال ثعلبٌ: الشَّمَالُ من الرِّيحِ ما اسْتَقْبَلَكَ عن يَمِينِكَ إِذَا وَقَفْتَ فِي الْقِبْلَةِ، وقال ابن الأعرابي: مَهَبُ الشَّمَالِ مِنْ بَنَاتِ نَعَشٍ إِلَى مَسْقَطِ النَّسْرِ الطَّائِرِ. من تَذَكُّرَةِ أَبِي عَلِيٍّ، وتكونُ اسماً وَصِفَةً، والجمعُ شَمَالَاتٌ..."

وكذلك قول ابن سيده^(٢): "وشالتِ العُقْرَبُ بذنبِها: رَفَعَتْهُ، وشوَّلةٌ وشوَّالةٌ: العُقْرَبُ، اسمٌ عَلِمَ لها، وشوَّلةٌ العُقْرَبُ: ما شالَ من ذنبِها. والشوَّلةُ من منازلِ القَمَرِ في العُقْرَبِ".

ومنه تفسيره لـ: "الشَّعْرَى^(٣) الغَمُوصُ، والغُمَيْصَاءُ، ويقال الرُّمَيْصَاءُ من منازل القمر، وهي في الذُّرَاعِ، أحد الكوكبين. وأختها الشَّعْرَى العَبُورُ، وهي التي خَلَفَ الجوزاء؛ وإنما سُميت: الغُمَيْصَاءُ، بهذا الاسم، لصغرِها وقلةِ ضوئِها، من غَمَصَ العين؛ لأن العين إذا رَمَصَتْ صَغُرَتْ. وقال ابن دُرَيْدٍ: تزعمُ العربُ في أخبارِها أن الشَّعْرَيْنِ أختا سُهيل^(٤)، وأنها كانت مجتمعة، فانحدر سُهيلُ فصار يمانياً، وتبعته الشَّعْرَى اليمانية فعبرت البحر فسُمِّيَتْ عبُوراً، وأقامت الغُمَيْصَاءُ مكانها فبكت لفقدِهما حتى غمَصَتْ عينها، والعبورُ تراه إذا طلع فتستعبر. أو الغُمَيْصَاءُ: موضعُ بناحية ساحل البحر."

(١) المحكم: م/٨ ص ٧١.

(٢) المحكم: م/٨ ص ١٢٢.

(٣) المحكم: م/٥ ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٤) المحكم: م/٥ ص ٤٢٦، وإلى هذا الزعم اعتمد أصحاب التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، وقد درسهم مجتمعين عماد الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا "دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي"، دار جهينة، عمان - الأردن، ط (٢)، ٢٠٠٤م، وكذلك يمكن النظر في: خليف، يوسف: صور أخرى من المقدمات الجاهلية (اتجاهات ومثُل)، المجلة، القاهرة، السنة التاسعة، ع (١٠٤)، أغسطس، آب، ١٩٦٥م، وزكي أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط (٢)، ١٩٦٩م، وغيرهم.

ومن التنجيم وعلم الكواكب عند ابن سيده قوله: "العوا: منزل من منازل القمر... قال ابن جني: قال لي أبو علي: إنما قيل: العواء لأنها كواكب ملتوية، قال وهي من عويت يده أي لويتها." (١)

وم قوله في تفسير (دَبُّ) "والدُّبُّ الكُبْرَى: من بَنَاتِ نَعَشٍ، وقيل: إنَّ ذلكَ يقعُ على الكُبْرَى والصُّغْرَى، فيقال لكلِّ واحدةٍ منهما: دُبٌّ، فإذا أرادوا فصلَهُما قالوا: الدُّبُّ الأصغرُ، والدُّبُّ الأكبرُ." (٢)

وكذلك ما جاء عنده من قوله: " وقالوا : إذا رَأَيْتَ الثَّرِيًّا بَدَبَرُ ، فَشَهْرٌ نِتَاجٌ وَشَهْرَ مَطَرُ ، أي: إذا تَدَلَّتْ للغُرُوبِ مع المَغْرِبِ فَذَلِكَ وقتُ المَطَرِ ، وَوقتُ نِتَاجِ الإِبِلِ ، وإذا رَأَيْتَ الشَّعْرِيَّ يَقْبَلُ ، فَمَجْدُ فَتَى وَحِمْلُ جَمَلٍ ؛ أي: إذا رَأَيْتَ الشَّعْرِيَّ مع المَغْرِبِ فَذَلِكَ صَمِيمُ القُرَى ، فلا يَصْبِرُ على القِرَى وَفِعْلُ الخَيْرِ في ذلكَ الوقتِ غيرُ الفَتَى الكَرِيمِ المَاجِدِ الحُرِّ ، وقولُه: حِمْلُ جَمَلٍ: أي: لا يَحْمِلُ فيه الثَّقَلَ إِلَّا الجَمَلُ الشَّدِيدُ؛ لَأَنَّ الجِمَالَ تُهْزَلُ في ذلكَ الوقتِ ، وتَقِلُّ المَرَاعِي" (٣).

- سابعا: معلومات في معاني الحروف:

يثبت ابن سيده معاني الحروف في مواضع كثيرة، وقد لاحظ الباحث انه لا يأتي بالمعنى من غيره؛ ربما لأنه يكون في الأول، فيذكر ابن سيده معنى الحرف مباشرة بعد أن يقدم للباب بحرفيه، أو يكون الحرف وحده يحتاج لتعريف، فيعرفه، ثم يشكل الحرف والحرف الذي يلي صوتيا معنى، فيعرف بهما على أساس أنهما يشكلان معنى ما، من ذلك قوله في معنى حرف العطف (بل) : " [ب ل] بَلْ: كَلِمَةٌ اسْتَدْرَاكِ وَإِعْلَامٌ بِالْإِضْرَابِ عَنِ

(١) المحكم: ٢م / ص ٣٨٣ .

(٢) المحكم: ٩م / ص ٢٨١ .

(٣) المحكم: ٩م / ص ٣١٢ .

الأول، وقولهم: قام زيدٌ بلُ عمرو وبَنُ عمرٌ، و فَإِنَّ النُّونَ بَدَلٌ مِنَ اللَّامِ. أَلَا تَرَى إِلَى كَثْرَةِ استعمالِ بَلْ، وقلة استعمالِ بَنُ، والحُكْمُ على الأكثرِ، لَا الْأَقْلَ. هذا هو الظاهرُ مِنْ أَمْرِهِ. ^(١)

– ثامنا: في الألفاظ الفارسية:

يذكر ابن سيده معلومات عن ألفاظ فارسية الأصل، وله في ذلك وجهان، الأول: الإشارة السريعة لكون اللفظ فارسي الأصل فقط، دون تحديد معناه، والوجه الثاني: الوقوف عند معناه، مع أن الوقوف عند معناه لا يكون مطولا، ومن الأماكن التي استوقف الباحث معنى كلمة (دل) عند ابن سيده، وبها يذكر تعريب الكلمة ودخوها للعربية، فيقول:

" دِلٌ بالفارسيَّة: الفؤادُ، وقد تَكَلَّمْتُ به العربُ وَسَمَّتْ به المَرَأَةُ، فَقَالُوا: دِلٌ فَفَتَحُوهُ، لِإِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا فِي كَلَامِهِمْ دِلًّا، أَخْرَجُوهُ إِلَى مَا فِي كَلَامِهِمْ، وَهُوَ الدَّلُّ الَّذِي هُوَ الدَّلَالُ وَالشَّكْلُ" ^(٢).

(١) المحكم: ١٠م / ص ٣٧٥ .

(٢) المحكم: ٩م / ص ٢٧١ .

- تاسعا: في معلومات البلاغة:

ولاحظ الباحث قلة المعلومات البلاغية نسبة لغيرها من الصرفية أو العروضية أو النحوية، ومن الطبيعي أن تحتل المعلومات النحوية واللغوية الرتبة الأولى في بسط ابن سيده لموسوعيته وصناعة معجمه، أما تلك المعلومات العروضية فتعود إلى ثقافته في العروض وكتابه المؤلف فيه وكونه من الشعراء. ومن معلومات البلاغية:

" دَثَرَ الشَّيْءُ يَدْثُرُ: دُثِرًا، وَانْدَثَرَ: قَدِمَ وَدَرَسَ، وَاسْتَعَارَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ لِلْحَسَبِ اتِّسَاعًا، فَقَالَ:

فِي فِتْنَةٍ بُسْطِ الْأَكْفِ مُسَامِحٍ عِنْدَ الْفَضَالِ قَدِيمُهُمْ لَمْ يَدْثُرِ

أي: حَسَبَهُمْ لَمْ يَبْلَ وَلَا دَرَسَ " (١).

ومن المعلومات البلاغية قوله:

" وَاللَّبْدَةُ، وَاللَّبْدَةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ يُقِيمُونَ وَسَائِرُهُمْ يَطْعَنُونَ، كَأَنَّهُمْ يَتَجَمَّعُونَ تَلَبَّدُوا. وَفِي التَّنْزِيلِ: "كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبْدًا" [الجن : ١٩]، وَقِيلَ: اللَّبْدَةُ: الْحَرَادُ، وَعِنْدِي أَنَّهُ عَلَى التَّشْبِيهِ" (٢).

ومثله قوله: " وَقَدْ دَنَفَ دَنَفًا، وَأَدْنَفَ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: لَا يُقَالُ: دَنَفَ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ قَالُوا: دَنَفَ. يُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّسَبِ. وَأَدْنَفَهُ اللَّهُ. وَقَوْلُهُ: وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفًا أَرَادَ: مُدَانَاتِهَا الْغُرُوبَ، فَكَأَنَهَا دَنَفٌ حِينَئِذٍ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ. " (٣)

(١) المحكم: م/٩ ص ٢٩٢ .

(٢) المحكم: م/٩ ص ٣٤١ .

(٣) المحكم: م/٩ ص ٣٤٩ .

ومنه قوله في تفسير قول ذي الرمة، ومقارنته الاستعارتين معا، ثم حكمه على استعارة

لبيد بالفشل:

أَلَا طَرَقَتْ مَيِّ هَيُومًا بِذِكْرِهَا وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحَ فِي الْمَغَارِبِ

" استِعَارَةٌ وَاتِّسَاعٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَدَ إِذَا مَالَتْ نَجَوَ الشَّيْءُ، وَدَنَتْ إِلَيْهِ ذَلِكَ عَلَى قُرْبِهَا مِنْهُ، وَدُنُوها نَحْوُهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: قُرْبَ الثُّرَيَّا مِنَ الْمَغْرِبِ لِأُفُولِهَا، فَجَعَلَ لَهَا أَيْدِيًا جُنْحًا نَحْوَهَا...

قال لبيد:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ

فَجَعَلَ لِلشَّمْسِ يَدًا إِلَى الْمَغِيبِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَصِفَهَا بِالْغُرُوبِ، وَأَصْلُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ لثَعْلَبَةَ ابْنِ صَعْيَرٍ الْمَازِنِيِّ [في قوله]:

فَتَذَكَّرَا تَقَلًّا رَثِيدًا بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ

وكذلك أراد لبيد أن يُصِرَّحَ بلفظ اليمين، فلم يُمكنه.^(١)

- عاشرًا: الموضوعات التي لا علم لابن سيده بها:

يرد عند ابن سيده بعض التفسيرات لألفاظ تنتمي لموضوعات لا علم له بها، ويذكر أنه لم يفده الرجوع لمن سبقه، من ذلك قوله^(٢): "حكى سيبويه: البَطِيَّةُ، ولا علم لي بمَوْضُوعِهَا^(٣) إلا أن يكون أَبْطِيتُ: لُغَةً فِي أَبْطَاتُ، كَأَحْبَنْطِيتُ فِي أَحْبَنْطَاتُ، فتكون هذه صِيغَةً

(١) المحكم: ٩م/ص ٣٦٥.

(٢) المحكم: ٩م/ص ٢٢٧.

(٣) وجر عدم علم سيبويه عدم المعرفة عند ابن سيده بالسبب ! وفي النص تواضع، واحترام لمن سبقه من الكبار الذين لا خلاف على تقدمهم. وفي النص غرابة في المنقول... ولا يرى الباحث في النص تقليلاً من شأن سيبويه؛ بل لسان حاله يقول: إذا كان لا علم لسيبويه في معنى الكلمة، فمن باب أولى عدم علمي بها.

الحال من ذلك، ولا يُحمَلُ على البَدَل؛ لأنَّ ذلك نادرٌ.^(١)

ومنه تفسير ابن سيده لقول ذي الرِّمَّة:

وَجَدْتُ الْبُرَّا أَمْرَاسَ نَجْرَانَ رُكِّبْتُ
أَوَاخِيَّهَا بِالْمُرَّاتِ الرَّوَاجِفِ

قيل في تفسيره (رأسٌ مرأى): "طويل الخطم فيه تصويبٌ، وقال نصيرٌ رؤوسُ

مرأياتٍ كأنها قراقير. وهذا لا أعرف له فعلاً ولا مادة."^(٢)

وقد يغلب ابن سيده الظن فيما يرويه عن غيره دون ترجيح أو حكم صريح، كقوله:

"والجميع روَّياتٌ حكاه ابن جني وأظن ذلك تسمُّحاً منه ولم يسمعه من العرب."^(٣)

ومن ذكره لمعلومات لا علم له بها قوله:

"(الْمَلَمَّ) وَ (يَلْمَلَمُ): جَبَلٌ، وَقِيلَ مَوْضِعٌ. وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: هُوَ مِيقَاتٌ. وَلَا أَدْرِي مَا عَنَى بِهَذَا

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمِيقَاتُ هُنَا مَعْلَمًا مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ"^(٤).

وربما يعلل عدم درايته بقوله: (لا أدري) وهو قليل، منه قوله: "والرَّوَادِفُ: الأعْجَازُ،

لَا أَدْرِي: أَهْوَ جَمْعُ رَدْفٍ نَادِرٌ، أَمْ هُوَ جَمْعُ رَادِفَةٍ؟ وَكُلُّهُ مِنَ الْإِتْبَاعِ"^(٥).

ومن ذلك قوله:

"وَنَسَأَ اللَّهُ مِنْ أَجَلِهِ وَأَنْسَأَ أَجَلَهُ: آخِرُهُ، وَحَكَى ابْنُ دُرَيْدٍ مَدَّ لَهُ فِي الْأَجَلِ أَنْسَاءَ فِيهِ. وَلَا أَدْرِي

كيف هذا!"^(٦).

(١) هذا من أحكامه على ما ينقل. ومن الصعب تحديد: هل الكلام له أم لسيبويه؟ الأغلب أنه له. وله خاصية في

إطلاق أحكامه. فيقول (شاذ) و (نادر).

(٢) المحكم: م ١٠ / ص ٣٤٦.

(٣) المحكم: م ١٠ / ص ٣٥٥.

(٤) المحكم: م ١٠ / ص ٣٧٧.

(٥) المحكم: م ٩ / ص ٣٠٢.

(٦) المحكم: م ٨ / ص ٥٤٩.

الفصل الخامس

المحكم نقد وتقويم

يعنى هذا الفصل بدراسة المحكم من خلال تأثره بمن سبقه من المعجميين، وأثر ابن سيده في المؤلفات بعده، و بيان قيمة المحكم ومكانته بين المعاجم، وبعض مما أخذ عليه.

ووصف ابن منظور "المحكم" في قول مشهور، إذ قال : " ولم أجد في كتب اللغة أجمل من (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد لأزهري، ولا أكمل من (المحكم) لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنّيات للطريق"^(١).

وأعد علماء اللغة للمحكم تلخيصين هما^(٢) الأول: أبو بكر محمد بن إبراهيم الرعيني. والثاني: محمد بن أبي الحسين بن سعيد العنسي، وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح، للجوهري، في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها. والتلخيص للمحكم فيه إشارة إلى ما في المحكم من زوائد واستطرادات يمكن الاستغناء عنها بما لا يؤثر على قيمته العلمية والنقدية.

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٧.

(٢) عبد العلي الودغيري: المعجم العربي بالأندلس، ص ٥٧. وكذلك يوسف عيد: النشاط المعجمي في الأندلس، ص ١٥٢.

- تأثر ابن سيده وتأثيره:

يعد ابن سيده من بين المعجميين المتأثرين بمن سبقه، ومن المتأثرين بواقع الأندلسيين وفن صناعة المعجم^(١)، فكيف كان ذلك؟ ولعله يمكن القول: إن معرفة الأندلسيين للنحو في المشرق ترجع إلى أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث؛ فقد تناهى إلى مسمعهم ما كان يدور في مدينتي البصرة والكوفة من توفر طبقة من العلماء على الدراسات النحوية واللغوية، الأمر الذي أغرى بعضهم أن يشد رحاله إلى المشرق بحثاً عن مكنون هذه الدراسة وأسرارها، وكان ابن سيده واحداً من هؤلاء. وهكذا فقد بدأ علم النحو في الأندلس يشق طريقه قبل التأليف في المعجم.

كما ويعد صاحب المحكم ممن اشتغل بالنحو البغدادي على النحو الذي اشتغل به العلماء قبله بالنحو البصري والكوفي، وعلى الرغم من وصول النحو الكوفي والبغدادي إلى الأندلس فلقد كان نحو المدرسة البصرية هو الرائد الأول للأندلسيين، فقد اهتموا- في الأعم الأغلب- بمنهج السماع مبتعدين عن القياس ما أمكنهم ذلك وابن سيده نفسه هو الذي هيا للأندلسيين الإمام بالمذهب البغدادي على وجه التقريب، كذلك كان للمذهب البصري في الأندلس السمة الغالبة للظهور في مؤلفات الأندلسيين النحوية واللغوية والمعجمية، مما ترك بصمات واضحة في مؤلفاتهم.

وربما اعتمد الأندلسيون بشكل أساسي على المشرق حين بدأوا يشتغلون بهذا العلم، ولكنهم بمرور الوقت عولوا على أنفسهم، وحاولوا أن يضيفوا للنحو جديداً، وقد تمثل هذا في

(١) كتب عن المعاجم المؤلفة قبل المحكم المستشرق الإسباني داريو كابانيلاس رودريكس: ابن سيده المرسي

" دراسة في حياته وآثاره "، مجلة المناهل، ع ٥٥، السنة الثالثة، ربيع الأول، ١٣٩٦هـ، مارس ١٩٧٦م، ص ٣٥٥ وما بعدها

بعض الآراء الاجتهادية في المسائل الفرعية، مثل دعوة ابن مضاء القرطبي وثورته العارمة على العامل النحوي والمطالبة بإلغائه، أو إقصائه جانباً، إلا أننا لا نجد كثيراً من هذا عند ابن سيده، إلا في بعض أحكامه اللغوية التي ينتقد بها أصحابها^(١). وقد تأصلت الدراسات اللغوية ونشطت من خلال أبي علي القالي والتيار الذي بثه بالأندلس المتأثر بمدرسة العين الخليلية، وعرفت الأندلس من خلاله النشاط المعجمي^(٢)، وتبعه تلميذه الزبيدي صاحب مختصر العين، وصولاً إلى ظهور المحكم لابن سيده.

وأثر القالي بمن جاء بعده من خلال الكتب التي أحضرها من المشرق العربي، ومؤلفاته العديدة، وتلامذته الذين قاموا بدور ثقافي في الحياة الأندلسية، وأثر عن طريق منهجه القائم على الضبط والتحقيق والإتقان والتمكن من اللغة والأدب، فتكونت مدرسة القالي في الأندلس، وأصبحت الطاغية على كل تيار سواها.

ويمكن أن نوجز تأثر ابن سيده بمن سبقه^(٣) من خلال إضافات العلماء العرب في بناء المعاجم ومكانة ابن سيده بينهم وتأثره بهم، والبداية من معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي^(٤) ١٧٥هـ، وهو مؤلف أول معجم لغوي بعنوان " العين "، وجعل معجمه على عدد الحروف، وسمى كل حرف كتاباً، وتبعه شكلاً ومضموناً كل من (القالي) و (الأزهرى)

(١) شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص ٢٩٢.

(٢) عبد العلي الود غيري: المعجم العربي بالأندلس، ص ٨.

(٣) عدنان الخطيب: المعجم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، م ٤١٠، ج ١، كانون ثاني، ١٩٦٥م، ص ٢٠٥.

وما بعدها.

(٤) ألف قبل الخليل علماء كان لهم السبق في إعطاء المعجم ما يحتاجه من ألفاظ، وإليهم كان يعود أصحاب المعاجم في جمع ما ندر من ألفاظ وكان غريباً كما سمو كتبهم بذلك الاسم فيما هو من النوادر أو من الغريب، وإن لم تكتمل عندهم الصورة المثلى لتأليف المعجم.

و (ابن عباد) و (ابن سيدة) . ومن أهم سمات العين تبويبه للمعجم، وشواهد مفسرة ومعللة، ويذكر الكلمة ثم مقلوباتها^(١).

أما القالي ٣٥٦ هـ فألف معجم " البارع "، أخذاً بنظام الخليل ونظام التقليليات. وبدأ بالثنائي المضعف وهكذا... وأهم سمات معجمه قسمه كمياً إلى ستة أبنية، واتبع النظام الصوتي في تقسيمه مثل الخليل، وذكر النواذر والأخبار، واهتم بالاستشهاد بلغات العرب، ونسب كل قول إلى صاحبه. ثم تبعه الأزهري ٣٧٠ هـ وألف معجم " تهذيب اللغة " التزم فيه بنظام الخليل وتقليلياته، ومن أهم سمات معجمه أن قسمه كمياً إلى ستة أبنية، وجعل الحروف أبواباً والأبواب كتباً، ونبه إلى المهمل وسببه، ونبه إلى النادر من الكلام، واهتم أكثر ممن سبقه بالإستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وتبعه ابن سيدة في معجمه " المحكم والمحيط الأعظم، وقد سار فيه صاحبه على نهج الخليل بن أحمد في العين معتمداً في ذلك المختصر الذي ألفه أبو بكر الزبيدي على العين، في الوقت الذي ظهرت فيه معاجم هدمت بناء الخليل^(٢)، محاولاً تصحيح بعض التصحيفات التي

(١) أثار الباحث عدم ذكر أصحاب مدرسة الترتيب الهجائي، ومنهم ابن دريد، الذي يمكن القول عن معجمه بأن له تنسب (مدرسة الجمهرة) وتبعه (ابن فارس، ت ٣٩٥ هـ) في معجمه (مقاييس اللغة)، ومن سمات معجمه أنه:

- تبع الخليل في ترتيب و توزيع الأبنية.
- نظامه ألف بائي: أي يؤلف الحرف مع ما يليه في الألف باء لا مع ما يسبقه .
- أشار إلى الدخيل والمعرّب.
- يذكر الكلمة ثم مقلوباتها.
- شواهد مفسرة ومعللة.

وقد عدّه بعض العلماء والنقاد من نظام الألف بائي الخاص. وقد أخذ عنه ابن سيدة كما في قوله (الثاء والنون):
[ث ن ن] الثُّنُّ: يَبْسُ الحَلِيّ، والبُهْمَى والحَمْضُ إذا كَثُرَ، ورَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا. وقيل: هو ما اسْوَدَّ من جَمِيعِ العِيدَانِ، ولا يكونُ مَنْ بَقِلَ ولا عَشِبَ. وقال ابنُ دُرَيْدٍ: الثُّنُّ: حُطَامُ اليَبْسِ... المحكم: م١٠/ص ١٣٢
(٢) يوسف عيد: النشاط المعجمي في الأندلس، ص ١٤٣.

وردت فيه، وقصد ابن سيده في محكمه إلى هدف يختلف عن هدف الخليل والأزهري، إذ رمى إلى جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها جميعها، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة، إلا أنه اتفق مع الأزهري في ربطه اللغة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر، وبعض كلام العرب من النثر...

- قيمة المحكم:

ترد في المحكم آراء ابن سيده اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية وفي المثل والحكايات واللهجات وغير ذلك، تلك التي تحمل سمات شخصيته، فهناك آراء تفرّد بها وآراء وافق فيها البصريين والكوفيين، وآراء وافق فيها العلماء قبله وآراء كانت موضع نقد من العلماء، منها أنه كان يصحح بعض المفردات اللغوية، وكأنه أتيحت له المشاركة في الرواية اللغوية، على الرغم من تأخر عصره عنها، وبعد الأندلس عنها. ولكنه أدلى بدلوه، فرأيناه يفضل رواية على رواية، أو يبين ما بها من تصحيف أو تحريف. أو أنه قد ينكر رواية على رواية، ومن أمثلة ذلك حكمه العروضي في قول الأخفش^(١):

أَلَمْ تَكُنْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ

إِنَّ مَطَايَاكَ لَمِنْ خَيْرِ الْمَطِيِّ

"جَعَلَ الْبَاءَ الَّتِي فِي مَوْضِعِ يَاءِ فَعِيلٍ قَافِيَةً، وَالْقِيَ الْمُتَحَرِّكَةَ لَمَّا احتَاجَ إِلَى إِقَائِهَا، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا أَلْقَى الزَّائِدَ، وَذَلِكَ لَيْسَ بِحَسَنٍ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحْفٌ لِلأُولَى، وَإِنَّمَا يَرْتَدُّ عِنْدَ الثَّانِيَةِ، فَلَمَّا جَاءَ لَفْظٌ لَا يَكُونُ مَعَ الْأُولَى تَرْكُهُ، كَمَا يَقِفُ عَلَى التَّنْقِيلِ بِالْخِفَةِ.

(١) المحكم: ٩م / ص ٢٤٨-٢٤٩ .

قَالَ ابْنُ جَنِّي: ذَهَبَ الْأَخْفَشُ فِي الْعَلِيِّ وَالْمَطِيِّ إِلَى حَذْفِ الْحَرْفِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ لَامٌ وَتَبْقِيَةُ يَاءٍ فَعِيلٍ، وَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةٌ، كَمَا ذَهَبَ فِي نَحْوِ مَقُولٍ وَمِبيِعٍ إِلَى حَذْفِ الْعَيْنِ وَإِقْرَارِ وَاوٍ مَفْعُولٍ، وَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةٌ، - ثُمَّ يَأْتِيكَ رَأْيُهُ، فيقول: - إِلَّا أَنْ جَهَّتِي الْحَذْفُ هُنَا وَهَنَاكَ مُخْتَلِفَتَانِ؛ لِأَنَّ الْمَحذُوفَ مِنَ الْمَطِيِّ وَالْعَلِيِّ الْحَرْفُ الْآخِرُ، وَالْحَذْفُ فِي مَقُولٍ لَعْلَةٍ لَيْسَتْ بِعَلَّةٍ الْحَذْفُ فِي الْمَطِيِّ وَالْعَلِيِّ، وَالَّذِي رَأَاهُ فِي الْمَطِيِّ حَسَنٌ... - وَلَهُ حُكْمٌ آخَرُ يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَشْفَهُ مِنْ خِلَالِ قِرَاءَتِنَا لِقَوْلِهِ: - أَلَا تَرَى أَنَّهَا بِإِزَاءِ نَوْنٍ "مُسْتَفْعِلُنْ"، - أَي: وَزْنَ "خَيْرِ الْمَطِيِّ" [- ب -]، ثُمَّ يَرْجِعُ رَوَايَةَ - وَرَوَاهُ فُطْرُبٌ: "أَنْ مَطَايَاكَ" بِفَتْحٍ "أَنْ" مَعَ اللَّامِ، - فَيُحْكَمُ ابْنُ سَيِّدِهِ أَنْ: - هَذَا طَرِيفٌ، - وَيَصِحُّ ابْنُ سَيِّدِهِ بِقَوْلِهِ: - وَالْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُنَا كَسْرُ إِنْ، لِنَزُولِ الضَّرُورَةِ إِلَّا أَنَا سَمِعْنَاهَا مَفْتُوحَةً الْهَمْزَةَ.

وَكذلك من آرائه الاجتهادية مشاركته في المحكم بالشرح والتفسير،^(١) إذ لم يقتصر ابن سيده في الشرح على النقل فقط، بل شارك مشاركة ظاهرة للعيان، وتمثل وجهها من وجوه ظهور شخصيته في المحكم، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير "تَوَطَّأَهُ، وَوَطَّأَهُ": قَالَ ابْنُ جَنِّي: فِيهِ مِنَ السَّعَةِ إِخْبَارُكَ عَمَّا لَا يَصِحُّ وَطَّوهُ بِمَا يَصِحُّ وَطَّوهُ، فَتَقُولُ عَلَى قِيَاسِ هَذَا: أَخَذْنَا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاطِيَّ لِبَنِي فُلَانٍ، وَمَرَرْنَا بِقَوْمٍ مَوْطُوئِينَ بِالطَّرِيقِ، وَيَا طَرِيقُ طَأْ بَنَّا بَنِي فُلَانٍ، أَي: أَدْنَا إِلَيْهِمْ. وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ إِخْبَارُكَ عَنِ الطَّرِيقِ بِمَا تُخْبِرُ بِهِ عَنْ سَالِكِيهِ، فَشَبَّهْتَهُ بِهِمْ؛ إِذَا كَانَ الْمُؤَدِّي لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ هُمْ، وَأَمَّا التَّوَكِيدُ فَلَأَنَّكَ إِذَا أَخْبَرْتَ عَنْهُ بِوَطْنِهِ إِيَّاهُمْ كَانَ أَبْلَغَ مِنْ وَطْءِ سَالِكِيهِ لَهُمْ.

(١) المحكم: ٩م/ ص ٢٥١.

- ويتابع ابن سيده فيقول: - قَالَ: وذلك أَنَّ الطَّرِيقَ مُقِيمٌ مُلَازِمٌ، فَأَفْعَالُهُ مُقِيمَةٌ مَعَهُ، وَثَابِتَةٌ ثَبَاتُهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ يَحْضُرُونَ فِيهِ، وَيَغِيبُونَ عَنْهُ، فَأَفْعَالُهُمْ أَيْضاً حَاضِرَةٌ وَقَتاً، وَغَائِبَةٌ آخَرَ، - ثم يشارك الفقهاء في التفسير فيقول: - فَأَيْنَ هَذَا مِمَّا أَفْعَالُهُ ثَابِتَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ. وَلَمَّا كَانَ هَذَا كَلَاماً الْغَرَضُ مِنْهُ الْمَدْحُ وَالتَّائِيْدُ اخْتَارُوا لَهُ أَقْوَى اللَّفْظَيْنِ، - ويطلق حكمه - لِأَنَّهُ يُفِيدُ أَقْوَى الْمَعْنِيَيْنِ."

كما يحدد ابن سيده في المحكم الدلالة ويعلل إطلاق اللفظ على ذاك ويبين السبب في الترجيح والتسمية لمكان ما، ومن ذلك، قوله: "والجفري والجفراة: الكافور من النخل حكاها أبو حنيفة. وجيفر، ومجفر - وقيل: إنما هو محشر بالشين وقد تقدم - اسمان. والجفر: موضع. والجفار: موضع بنجد، قال الشاعر:

ويوم الجفار ويوم النسا
وكانا عذابا وكانا غراما
والجفائر: رمال معروفة، أنشد الفارسي:
ألما على وحش الجفائر فانظرا
إليها وان لم تمكن الوحش راميا
والأجفر: موضع.^(١)

وتظهر شخصية ابن سيده بما يبسطه من موضوعات صرفية ونحوية وصوتية وعروضية وغيرها. وهذا من طبيعة ذاك العصر، كما إنه قد ارتضى كثيراً من الآراء، ورفض أن يكون مقلداً في الأخرى^(٢)، ووافق ابن سيده غيره من اللغويين في بعض الآراء،

(١) المحكم: ٧م/ص ٣٩٣.

(٢) عبد الكريم النعيمي: ابن سيده اللغوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، ١٩٨٤م، ص ١٧٨ وما بعدها. ومسألة الحكم تحتاج لمتفحص خبير مثله، كما كان يقول عن رواية ما بأنها من النادر أو الشاذ...

تحرياً للصواب، ولم تمنعه أندلسيته أن يكون موافقاً للمشاركة في آرائهم، وهم الذين نشأ عندهم علم النحو ونما وترعرع ولم يصل إلى الأندلس إلا بعد أن اكتمل نموه تقريباً. فاختره يدل على أنه ذو تفكير حر، ومن أمثلة ذلك^(١): "وفرق سيبويه بين سَرَعَ وأسرع، فقال: أسرع: طلب ذلك من نفسه، وتكلفه، كأنه أسرع المشي: أي عجله؛ وأما سرعة فكأنها غريزة. واستعمل ابن جني أسرع متعدياً، فقال- يعني العرب -: فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، فهذا إما أن يكون على أن أسرع يتعدى بحرف وبغير حرف؛ وإما أن يكون أراد إلى قبوله، فحذف وأوصل."

ومنه ما جاء في المحكم من مقلوب [س م ع]^(٢): "السمع: حس الأذن. وفي التنزيل: "أو ألقى السمع وهو شهيد" [ق: ٣٧]. وقال ثعلب: معناه: خلا له، فلم يشتغل بغيره. وقد سمعه سمعاً، وسمعا وسماعاً وسماعة وسماعية. قال اللحياني: وقال بعضهم: السمع المصدر، والسمع الاسم. والسمع أيضاً: الأذن. والجمع: أسماع. فأما قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" [البقرة: ٧] فقد يكون على الحذف، أي على مواضع سمعهم. ويكون على أنه سماها بالمصدر فأفرد، لأن المصادر لا تجمع. ويجوز أن يكون أراد على أسماعهم، فلما أضاف السمع إليهم، دل على أسماعهم. وأما قول الهذلي:

فلما رد سامعه إليه وجلى عن عمايته عماه

(١) المحكم: م ١/ ص ٤٨١. مع أن ابن سيده كان كثيراً ما ترد عنده كلمة (قيل)، دون تحديد من هو القائل.

ويظن الباحث أن المرجع في ذلك هم الفقهاء. انظر ذلك ولاحظ قرب المسافة بين (قيل) و (قيل) في قوله: "والعرجلة القطعة من الخيل وقيل الجماعة منها، والعرجلة الجماعة من الناس وقيل جماعة الرحالة، وخرج القوم عرجلة أي مشاة. والعرجلة الجماعة من المعز عن كراع. والعرجون العذق عامة وقيل: هو العذق إذا يبس واعوج وقيل هو أصل العذق". المحكم: م ٢/ ص ٤٣١.

(٢) المحكم: م ١/ ص ٥١١.

فإنه عني بالسَّماع الأذُن، وذكر لمكان العضو. وسمعه الخبر، وأسمعه إياه. وقوله تعالى: "واسمع غير مسمع" [النساء: ٤٦]: فسرّه ثعلب^(١) فقال: اسمع لا سمعت. وقوله تعالى: إلا "إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا" [الروم: ٥٣]: أي ما تسمع إلا من يؤمن بها. وأراد بالإسماع هاهنا: القبول والعمل بما يسمع، لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل، فهو بمنزلة من لم يسمع. واستمع إليه وتسمع: أصغى. والمسمعة والمسمع، والمسمع، الأخيرة عن ابن جبلة: الأذن. وقيل: المسمع: خرقها ومدخل الكلام فيها. وقالوا هو مني مرأى ومسمع يرفع وينصب وهو مني بمرأى ومسمع. وقال ذلك سمع أذني، وسمعتها، وسماعها، وسماعتها: أي إسماعها، قال:

سماع الله والعلماء إني أعوذ بحقو خالك يا بن عمرو

أوقع الاسم موقع المصدر، كأنه قال: إسماعا، كما قال:

وبعد عطائك المئة الرتاعا

أي إعطائك. قال سيبويه: وإن شئت قلت: سمعا. قال: ذلك إذا لم تختص نفسك. وقال اللحياني: سمع أذني فلانا يقول ذاك، وسمع أذني، وسمعة أذني وسمعه أذني فرفع في كل ذلك. قال سيبويه: وقالوا: أخذت ذلك عنه سمعا وسماعا، جاءوا بالمصدر على غير فعله. وهذا عنده غير مطرد. وقالوا: سمعا وطاعة، فنصبوه على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره. ومنهم من يرفعه، أي أمري ذلك. والذي يرفع عليه غير مستعمل إظهاره، كما أن الذي ينصب عليه كذلك.

(١) تكرر احترامه لثعلب، وهذا قد اتضح في ذكره لمصادره أنه يحترمه ولا يذكره إلا باسمه غير قليل من المرات. وسيرد رأي سيبويه وهو من المحترمين عنده.

ومن ظهور شخصية ابن سيده كذلك: أنه إذا رأى فعلا لا مصدر له، أشعره بمكانه، وذلك نحو: يذر ويدع، فإنه يقول في مثل هذا، وليس لهذا مصدر. وكذلك إن لم يكن للفعل ماضٍ أعلمك به أيضا، وذلك كهذين الفعلين اللذين لا مصدر لهما، فإنه لا ماضي لهما، فإن كان للفعل مصدر قد عوض إياه من غير لفظه، قال لك: لا مصدر له إلا هذا...

ومنها أنه يفرّق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذي هو لغة في الفعل، وليس بمنقلب عنه، بوجود المصدر وعدمه، كجذب وجبذ^(١)، فانهما لغتان، لأن لكل واحد منهما مصدرا، وأما يئس وأيس^(٢) فالأخيرة مقلوبة عن الأولى، لأنه لا مصدر لأيس؛ ولا يحتج بإياس: اسم رجل، فانه فعال من الأوس، وهو العطاء، كما يسمى الرجل عطية، وهبة الله، والفضل.

ومنها كذلك أنه إذا تغير شكل المقلوب عما انقلبت عنه، أعلمك أن تحول شكله لا يبرئه من الانقلاب عما انقلب عنه كما حكاه الفارسي من قول العرب: له جاه عند السلطان، فإن هذا منقلب عن وجهه، وإن تغير البناء.

ومن ذلك تنبيهه على كل ما يهمز، مما ليس أصله الهمز، من الاشتقاق، كقولهم: "الذئب يستنشيء الريح، وإنما هو من النشوة، وكذلك ما زيدت فيه الهمزة، مما لا أصل له فيها، ولا هو مبدل من بعض حروفها، كقولهم: استلأمت الحجر، وإنما هو من السّلام."

وكذلك نبّه على ما جاء من المهموز نادرا، مما المستعمل فيه غير ذلك، نحو ما حكى عن أبي زيد، من انه وجد في كتابه بخطه: الشّمة: الطبيعة. وكذلك نبه على ما جاء فيه

(١) المحكم: م/٧ ص ٣٦٣ و ٣٦٥ .

(٢) المحكم: م/٨ ص ٦٣١ و ٦٣٢ .

الهمز، والأعراف تركه، إلا أنه يتجه على طريق الإعراب، نحو ما حكى عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي: أنه وجد بخط عمه: قطعاً جؤنى، وإنما هي من الجونة، التي هي السواد... ومنه: تنبيهه على البديل اللازم في حروف العلة، كعيد وأعياد، وزير نساء وأزيار^(١).

ومن القيم الإيجابية في المحكم حسن جمعه للأقوال في تفسيره للفظ الواحد، وميله للاختصار متى احتاج ذلك، ووضعه خطة عمل في مقدمته، ونجاحه في تبويب الكتاب على ضخامته.

ومن قيمة المحكم ذلك الاستطراد العروضي عنده، وأكثر ما يلفت الانتباه لذلك حديثه عن الروي، مع ملاحظة كيف يحاكم قول الأخفش إلى جانب قول ابن جني، دون الإشارة إلى مصدر القول، ثم يدلي هو بدلوه في قول الشاعر:

إذا قلَّ مالُ المرءِ قلَّ صديقُه وأوَمَّتْ إليه بالعيوبِ الأصابعُ

" قال - والكلام للأخفش - فالعين حرف الروي وهو لازم في كل بيت، قال المتأمل لقوله " أي الخفش " هذا غير مُقْنَع في معرفة الروي، ألا ترى أن قول الأعشى:

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَلَهَا غَضَبَنِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

تجد فيه أربعة أحرفٍ لوازمٍ غير مختلفة المواضع وهي الألف قبل اللام ثم اللام والهاء والألف فيما بعد قال. فليت شعري إذا أخذ المبتدئ في معرفة الروي بقول الأخفش هكذا مجرداً. كيف يصح له؟ قال الأخفش: " وجميع حروف المعجم تكون رَوِيًا إلا الألف والياء والواو اللواتي يكنّ للإطلاق وهاء التأنيث وهاء الإضمار إذا تحرك ما قبلهما وألف الاثنين وواو الجميع إذا انضم ما قبلها.

(١) المحكم: م/١ ص ٤٣-٤٤.

قال ابن جنّي: قوله اللواتي يكنّ للإطلاق فيه أيضاً مُسامحةً في التحديد؛ وذلك أنه إنما يُعلّم أن الألف والياء والواو للإطلاق إذا علم أن ما قبلها هو الرَّوْيُ وإذا علم أنه الرَّوْيُ فقد استُغْنِيَ بمعرفته إياه عن تعريفه بشيء آخر ولم يبق بعد معرفته غرض هاهنا مطلوب لأن هذا موضعٌ تحديده ليُعرف فإذا عُرِف وعلم أن ما بعده إنما هو للإطلاق فما الذي يلتبس فيما بعد. قال - أي ابن جنّي - ولكنْ أحوطُ ما يقال في حرف الرَّوْيِ أن جميع حروف المعجم يكنّ رَوِيًّا إلا الألف والياء والواو الزوائد في أواخر الكلم في بعض الأحوال غير مَبْنِيَّاتٍ في أنفُسِ الكلم بِنَاءِ الأصول، نحو أَلَفِ الجَرَعا من قوله:

يا دارَ عَفراءَ من مُحْتَلِّها الجَرَعا

وياء الأيامي من قوله:

هيهاتَ منزلُنا بِنَعْفِ سُوَيْفَةٍ كانت مُباركةً من الأيامي

وواو الخيامو من قوله:

متى كان الخيامُ بذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الغيثُ أَيْتَها الخيامُ

وإلا هاءَي التأنيث والإضمار إذا تحرك ما قبلهما نحو طَلْحَةُ وضَرْبُهُ وكذلك الهاء التي تُبَيِّنُ بها الحركة نحو: ارمِ، واغزُهُ، وفيمةً، ولمِ، وكذلك التثوين اللاحق آخر الكلم للصرف كان أو لغيره نحو: زيذاً، وصه، وغاقٍ، ويومئذٍ...^(١).

كذلك يقضي بالحكم في المحكم بتعليل ما يرمي إليه ولا يبقى لأمر عوام، كقوله: "وإنما قَضِيَتْ على (رَبِّالِ) المهموز أنه رباعي على كثرة زيادة الهمزة، من جهة قولهم في هذا المعنى: (رَبِّالِ) بغير همز؛ وذلك أن رببِالا بغير همز لا يخلو من أن يكون فيَعَالاً أو

(١) المحكم: م ١٠٠/ص ٣٥٤-٣٥٥. ويستمر كلامه عن الروي، ثم يختم بقوله: "وقد تَقَصَّينا جميع ذلك وما بقي منه في كتابنا الموسوم بالواقي في أحكام علم القوافي". المحكم: م ١٠٠/ص ٣٥٦.

فِعْلًا، فلا يكون فِعْعَالًا. لأن فِعْعَالًا من أبنية المصادر، ولا يكون فِعْعَالًا وياؤه أصل؛ لأن الياء لا تكون أصلًا في بنات الأربعة؛ فثبت من ذلك أن رَبَّيَالًا فِعْعَالٌ هَمَزَتْهُ أصلٌ بدليل قولهم: خرجوا يَتَرَأُّلونَ، وأن رَبَّيَالًا مُخَفَّفٌ عنه تخفيفًا بدليًا^(١).

ومن قيمة معجم ابن سيده أنه يعطف المعنى على أخيه إذا أحس لذلك ضرورة، فلا يقف عند معنى ويسير دون تمحيص وسؤال نفسه عن مدى فهم القارئ له، من ذلك قوله في معنى الكناية باستخدام كلمة (بَلَّة): "وَمَا أَحْسَنَ بَلَّةً لِسَانِهِ، أَي: طَوَّعَهُ بِالْعِبَارَةِ، وَإِسْمَاعَهُ، وَسَلَّاسَتَهُ، وَوَقَّوَعَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْحُرُوفِ، وَاسْتِمْرَارَهُ عَلَى الْمَنْطِقِ"^(٢). فعطف لمعنى العبارة معطوفات تفسر الواحدة الأخرى، ولعل الباحث يجد في العطف قوة على استظهار ما عند ابن سيده من بضاعة، ثم أسلوبا عند ابن سيده في الاستطراد لتقصي المعاني.

كذلك يعطي المحكم سببا لمعرفة سبب تسمية الاسم بهذا المسمى به، ومن اللافت كثرة تعليله مسميات بحور الشعر الخليلية وزحافات علم العروض، من ذلك قوله في زحاف (الطي): "والطِّيُّ فِي الْعَرُوضِ: حَذَفُ الرَّابِعِ مِنْ (مُسْتَفْعِلُنْ)، وَ (مَفْعُولَاتٍ)، فَيَبْقَى (مُسْتَعِلُنْ) وَ (مَفْعَلَاتٍ) فَتَنْقَلُ مُسْتَعِلُنْ إِلَى مُفْتَعِلُنْ، وَمَفْعَلَاتُ إِلَى فَاعِلَاتُ، يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَسِيطِ وَالرَّجَزِ وَالْمُنْسَرَحِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا الْجُزْءُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ مَطْوِيًّا، لِأَنَّ رَابِعَهُ وَسَطُهُ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ، فَشُبِّهَ بِالنُّوبِ الَّذِي يَعْطَفُ مِنْ وَسَطِهِ"^(٣).

ومرة يذكر صاحب التعليل وينسبه له، من ذلك تعليله للموفور: "أنه هو كلُّ جُزْءٍ يَجُوزُ فِيهِ الزَّحَافُ فَيَسْلَمُ. هَذَا قَوْلُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَالَ مَرَّةً الْمَوْفُورُ مَا جَازَ أَنْ يُخْرَمَ فَلَمْ يُخْرَمَ وَهُوَ

(١) المحكم: ١٠م/ ص ٣٥٩.

(٢) المحكم: ١٠م/ ص ٣٧٢.

(٣) المحكم: ٩م/ ص ٢٥٤.

(فَعُولُنْ)، (مَفَاعِيلُنْ)، (مُفَاعَلَتُنْ) وإن كانَ فيها زِحَافٌ غيرُ الخَرَمِ لم تَخُلْ مِنْ أن تكونَ مَوْفُورَةً
قال إنما سُمِّيَتْ مَوْفُورَةً لِأَنَّ أَوْتَادَهَا تَوَفَّرَتْ" (١).

ويقول ابن سيده في تعليل اسم بحر (الوافر) بهذا الاسم: "الوافرُ ضَرْبٌ مِنَ الْعَرُوضِ
وهو مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ مَرَّتَيْنِ، سُمِّيَ هَذَا الشَّطْرُ وَاِفِرًا لِأَنَّ أَجْزَاءَهُ مُوَفَّرَةٌ لَهُ وَفُورَ
أَجْزَاءِ الْكَامِلِ غَيْرَ أَنَّهُ حُذِفَ مِنْ حُرُوفِهِ فَلَمْ يُكَمَّلْ" (٢).

(١) المحكم: م١٠/ص ٣٢٤.

(٢) المحكم: م١٠/ص ٣٥٢.

- المآخذ على المحكم^(١):

ذكر الدارسون^(٢) أنه قبل أن يؤلف الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه (العين)، عرفت

اللغة العربية ترتيبين لحروفها، هما:

(أ) الترتيب الألفبائي، الذي لا يزال يستخدم بصورة واسعة في إعداد الفهارس والمعاجم. وينتظم هذا الترتيب حروف الهجاء حسب أشكالها، نحو أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

(ب) الترتيب الأبجدي، الذي يستعمل حالياً على نطاق أضيق من الترتيب السابق، ويستخدم خاصة في ترقيم أجزاء المقال أو البحث، وتجمع الحروف فيه هكذا :

أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

ومع ذلك فإن الخليل لم يختار أياً من الترتيبين لمعجمه (العين) فبدلاً منهما، ابتكر ترتيباً لحروف الهجاء العربية خاصاً به، يعتمد على ترتيب الحروف حسب مخارج نطقها من أقصى الحلق إلى الشفتين، مبتدئاً بالعين. ومن هنا جاءت تسمية المعجم بالحرف الأول منه. وترتب الحروف طبقاً لترتيب الخليل الصوتي على النحو الآتي:

ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن،

(١) رد على (محكم) ابن سيده: أبو الحكم عبد الرحمن بن برجان (ت ٦٢٧ هـ)، وتبين أغلاطه، واستلحقه على كثير من اللغة. عبد العلي الود غيري: المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط(١)، ١٩٨٤م، ص ٥٧.

(٢) يمكن الرجوع إلى:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين " مرتبا على حروف المعجم "، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط(١)، ٢٠٠٣م، من التقدّم، ص ٨ وما بعدها.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق، ١٩٨٦م، ص ٥ وما بعدها.

ف، ب، م، و، أ، ي.

وقد أثر ترتيب الخليل على المعجميين العرب القدماء، ومنهم ابن سيده، على أن للترتيب ذاك مساوئ عديدة وفي طليعتها أن كثيراً من المتعلمين وغير المتخصصين لا يستطيعون استخلاص الجذر من الكلمة التي يبحثون عن معناها في المعجم، خصوصاً والمحكم يسير على نظام " التقلبيات "، التي ابتكرها الخليل...^(١).

فهناك من لا يعرف أن جذر كلمة (استعلامات) هو (علم)، وجذر كلمة (تيمم) هو (ي م م)، وجذر كلمة (مُناخ) هو (ن و خ) وهكذا تتفاقم صعوبة استعمال المعجم. كذلك فإن كثيراً من الكلمات المعربة لا جذر لها فيضطر صاحب المعجم إلى إدراجها في المعجم في حرفها الأول، وبهذا تبع ابن سيده خطأ الخليل ومن تبعه، ولم يقفز عن أخطائهم...

ولعله توجد كلمات عربية لا يقطع حتى المعجميون في جذرها الحقيقي. ولذلك لا يستطيع المعجمي مهما بلغت فصاحته وقوة منطقته أن يوفي بما وعده في مقدمة معجمه، فنرى ابن سيده يخالف في بعض الألفاظ علماء اللغة الموثوق بهم، كما في قوله: والمنفوسُ: المولود. وتنفستِ القوسُ: تصدعت. ونفسها هو: صدعها، عن كراع، وإنما يتنفس منها العيدان التي لم تفلق. وهي القسي، وأما الفلقة فلا تنفس. وتنفس القدح كذلك، وأرى اللحياني قال: إن النفس: الشق في القوس والقدح، ولست منه على ثقة^(٢). وكذلك يمكن النظر في تفسيره لمعنى: [ه ل ك]^(٣) "هَلَكَ يَهْلِكُ هُلُكاً وَهُلُكاً وَهَلَاكاً: مات، ابن جني: ومن الشاذ قراءة مَنْ قرأ: " وَيَهْلِكُ الْحَرْتُ وَالنَّسْلُ " [البقرة: ٢٠٥] قال: هو من

(١) أمين محمد فاخر: دراسات في المعاجم العربية، مطبعة حسان، مصر، ط (١)، ١٩٨٤م، ص ٣٥.

(٢) المحكم: ٨م / ص ٥٢٨.

(٣) المحكم: ٤م / ص ١٣٩-١٤٠.

باب ركن يركن، وقنط يقنط، وكل ذلك عند أبي بكر لغات مختلطة، قال: وقد يجوز أن يكون ماضي يهلك هلك، كعطب، فاستغنى عنه بهلك، وبقيت يهلك دليلاً عليها.

واستعمل أبو حنيفة الهلكة في جفوف النبات وبيوده، فقال - يصف النبات -: من لدن ابتدائه إلى تمامه، ثم توليه وإدباره إلى هلكته وبيوده. ورجل هالك من قوم هلك وهلاك وهلكى وهوالك. الأخيرة شاذة، وقال الخليل: إنما قالوا: هلكى وزمنى ومرضى، لأنها أشياء ضربوا بها وأدخلوا فيها وهم لها كارهون. هلك الشيء وهلكه وأهلكه، قال العجاج:

ومهمه هالك من تعرّجا

وأنشد ثعلب:

قالت سُلَيْمَى هَلَّكُوا يَسَارَا

وفي التنزيل: "تِلْكَ الْقَرْىُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا" [الكهف: ٥٩] واستهلك المال: أنفقه وأنفده، أنشد سيبويه:

تَقُولُ إِذَا اسْتَهْلَكْتُ مَا لِيَ لِلدَّةِ فُكَيْهَةٌ هَشِيٌّ بِكَفَيْكَ لَا نِقُ

قال سيبويه: يريد: هل شيء، فأدغم اللام في الشين، وليس ذلك بواجب كوجوب إدغام الشم والشراب، ولا جميعهم يدغم هل شيء...

- ثم يقول: - والهالك والهالك: مشرفة المهواة من جو السكاك، لأنها مهلكة، وقيل: الهالك: ما بين كل أرض إلى التي تحتها إلى الأرض السابعة وهو من ذلك، فأما قول الشاعر:

المَوْتُ تَأْتِي لِمِيقَاتِ خَوَاطِفِهِ وليس يُعْجِزُهُ هَلَكٌ وَلَا لَوْحٌ

فإنه سكن للضرورة، وهو مذهب كوفي، وقد حجر عليه سيبويه إلا المكسور والمضموم،
وقيل: الهَلَكُ ما بين أعلى الجبل وأسفله، ثم يستعار لهواء ما بين كل شيئين، وكله من الهلاك."

فلم يخل المحكم من بعض التفسيرات المتسعة التي اقتربت من الخطأ في كثير من
الأحيان، وقد خطأه الفيروزآبادي في موضع تفسير كلمة (هسع)^(١) الذي قال عنه بأنه اسم
لمكان في لغة قديمة لا يعرف اشتقاقها والصواب أنه اسم مشتق للغة حمير العربية من
(هسع): أسره، وهاسه وهيسع... راداً على ابن سيده قوله.

ويكثر من لفظة (قيل) في شرحه وتفسيره، فانظر إلى قوله في باب^(٢): (الكاف
والصاد والراء) [ك ر ص]: "كرص الشيء: دقه. والكريص: الجوز بالسمن يكرص: أي يدق،
قال الطرماح يصف وعلا:

وشاخس فاه الدهر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

شاخس: خالف بين نبتة أسنانه، والثيران: جمع ثور: وهي القطعة من الأقط، والمنمس: القديم:
والضوائن: البيض. والكريص: الأقط المجموع المدقوق. وقيل: هو الأقط قبل أن يستحكم
يبسه. وقيل: هو الأقط الذي يرفع فيجعل فيه شيء من بقل لئلا يفسد. وقيل: الكريص: الأقط
والبقل يطبخان. وقيل: الكريص: الأقط عامة..."

(١) المحكم: م ١٠/ص ١١٧.

(٢) المحكم: م ٦/ص ٧٠٠. وانظر كذلك إلى استطراده وكثرة ما يرد من لفظة (قيل) دون نسبتها لمن ! في
معنى "الغلة: ما تواريت فيه، عن ابن الأعرابي. والغلل: الماء الذي يتغلغل بين الشجر. وقيل: هو الظاهر
الجاري. وقال أبو حنيفة: الغلل: السيل الضعيف يسيل من بطن الوادي، أو التلع في الشجر، وهو في بطن الوادي.
وقيل: أن يأتي الشجر غللاً من قبل ضعفه وأتباعه كل ما تواطأ من بطن الوادي فلا يكاد يرى، ولا يتبع إلا
الوطاء." المحكم: م ٥/ص ٣٧٦.

ومما أخذ على مادة المحكم ما جاء في طعن السهيلي في "الروض الأنف" عند الكلام على نقض الصحيفة فقال: "وَمَا زَالَ ابْنُ سَيْدِهِ يَعْتَرُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ - يعني المحكم - وَغَيْرِهِ عَشْرَاتٌ يَدْمِي مِنْهَا الْأَظْلَّ، وَيَذْخُضُ دَحَضَاتٍ تُخْرِجُهُ إِلَى سَبِيلٍ مَنْ ضَلَّ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ فِي هَذَا الْبَابِ وَذَكَرَ بُحَيْرَةَ طَبْرِيَّةَ فَقَالَ: هِيَ مِنْ أَعْلَامِ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَأَنَّ مَاءَهَا يَنْبَسُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، وَالْحَدِيثُ إِنَّمَا جَاءَ فِي غَيْرِ زُغَرٍ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتَ بُحَيْرَةَ طَبْرِيَّةَ فِي حَدِيثٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مَاءَهَا، وَقَالَ فِي الْجِمَارِ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ: إِنَّمَا هِيَ الَّتِي تُرْمَى بِعِرْفَةٍ؟! وَهَذِهِ هَفْوَةٌ لَا تُقَالُ وَعَثْرَةٌ لَا لَعَا لَهَا، وَكَمْ لَهُ مِنْ هَذَا إِذَا تَكَلَّمَ فِي النَّسَبِ وَغَيْرِهِ".^(١)

كما أخذ على المحكم إغراقه بالتفسير والتعليل متخذاً من ثقافته الموسوعية سبيلاً لذلك، فكثرت عنده الحديث عن فلسفة النحو والمنطق في الصرف، كقوله^(٢): وَوَصَى الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وَصِيًّا: وَوَصَلَهُ، وَوَصَتِ الْأَرْضُ وَصِيًّا، وَوَصِيًّا، وَوَصَاءً، وَوَصَاةً الْأَخِيرَةُ نَادِرَةٌ، حَكَاهُمَا أَبُو حَنِيفَةَ، كُلُّ ذَلِكَ اتَّصَلَ نَبَاتُهَا، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَمَعْنَى هَذَا الْبَابِ الْإِتِّصَالُ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ يَصِلُ مِنَ الْمُوصِي إِلَى الْمُوصَى إِلَيْهِ، وَقَوْلُهُ أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

أَهْلُ الْغِنَى وَالْجُرْدِ وَالِدَالِصِ

وَالْجُودِ وَصَّاهُمْ بِذَلِكَ الْوَاصِي

أراد: وَالْجُودِ الْوَاصِي، أَيْ الْمُتَّصِلِ، يَقُولُ: الْجُودُ وَصَّاهُمْ بِأَنْ يُدِيمُوهُ أَيْ الْجُودُ الْوَاصِي وَصَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَاصِي هُنَا اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ أَوْصَى، عَلَى حَذْفِ الزَّائِدِ أَوْ عَلَى

(١) أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج٢، ص١٦٣.

(٢) المحكم: م٨/ ص٣٩٥ - ٣٩٦.

النَّسَبِ، فيكونُ مرفوعَ الموضعِ بأوصَى لا مجرورةً على أن يكونَ نعتاً للجودِ، كما يكونُ في القولِ الأوَّلِ...

وكذلك الحال في علم العروض؛ ومنه قوله في تفسير لفظة [ن هـ ك]^(١): "النَّهْكَ: التَّنْقِصُ. وَنَهَكَتْهُ الْحُمَى نَهْكَاً وَنَهَكَ وَنَهَاكَ: رَأَى أَثَرَ الْهَزَالِ فِيهِ مِنْهَا، وَهُوَ مِنَ التَّنْقِصِ أَيْضاً. وَالْمَنْهُوكُ مِنَ الرِّجْزِ وَالْمَنْسَرَحِ: مَا ذَهَبَ ثَلَاثَاهُ وَبَقِيَ ثَلَاثُهُ"^(٢)، كقوله في الرجز:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ

وقوله في المنسرح:

وَيْلٌ أَمْ سَعْدٌ سَعْدَا

وإنما سمي بذلك لأنك حذفْتَ ثلثيه ونَهَكَتَهُ بالحذف، أي بالغت في إمراضه والإجحاف به...". وهذه الاستطرادات وإن كانت مفيدة وموسوعية، فإنها تخرج المعجم عن دائرته الأم بكونه يختص أول ما يختص بالجوانب اللغوية. والتخصص في التصنيف واجب ويأخذ بالصنعة نحو مراتب الكمال.

ولا يخلو معجم بهذا الحجم من الخطأ في بعض القضايا والأحكام، خاصة في تلك التي يرجح فيها على أخرى، انظر إلى قوله: قال ابن جني: حكى أبو عبيدة: القَهْوَبَاةُ، وقد قال سيبويه: ليس في الكلام فعولي، وقد يمكن أن يحتج له فيقال: قد يمكن أن يأتي مع الهاء ما لولا هي لما أتى، نحو ترقوة وحذرية، والجمع القَهْوَبَاتُ^(٣).

(١) المحكم: م٤/ ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) هذا تعريف البيت المنهوك في العروض. وأراد في المنسرح والرجز ولم يعلل ذلك! لأنه لا تحليل واضح في علم العروض عن سبب استخدام بحر تام أو مجزوء أو منهوك أو مشطور، كما يقول أكثر العروضيين.

(٣) المحكم: م٤/ ص ١٢٩. والملاحظ إقحام لرأي ثلاثة لغويين هم (ابن جني وأبو عبيدة وسيبويه) واستطراد

وأطال المحكم في عرض المسألة التي له رأي فيها، حتى لا تقف معه على مبتغى واحد، باستعراض علميٍّ أخاذ، ومن ذلك استعراضه في مسألة إثبات خلل ما أنشده خلف الأحمر في عدد الأبيات، وقافيتها لإثبات معنى الرؤية فيها، من قول الشاعر:

أما تراني رجلاً كما ترى
أحملُ فوقِي بزَّتِي كما ترى
على قُلُوصٍ صَعْبَةٍ كما ترى
أخافُ أن تطرحني كما ترى
فما ترى فيما ترى كما ترى^(١).

فيقول: والقول عندي في هذه الأبيات أنها لو كانت عدَّتُها ثلاثة لكان الخطب فيها أيسر؛ وذلك لأنك كنت تجعل واحداً منها من رؤية العين كقولك كما تبصر والآخر من رؤية القلب التي في معنى العلم فيصير كقولك (كما تعلم) والثالث من رأيتُ التي بمعنى الرأي والاعتقاد كقولك فلان يرى رأي أهل العدل وفلان يرى رأي الشُّراة أي يعتقد اعتقادهم، ومنه قول الله سبحانه: "لتحكم بين الناس بما أراك الله". [النساء: ١٠٥]

فحاسة البصر هنا لا تتوجَّه ولا يجوز أن يكون (بما أعلمك الله) لأنه لو كان كذلك لوجب تعدّيه إلى ثلاثة مفعولين وليس هناك إلا مفعولان أحدهما الكاف في أراك والآخر الضمير المحذوف للغائب أي أراكه.

= لحكم خاص به، وكان الكلام في الأصل عن [ق هـ ب]، "فالقَهْبُ: المسن... قال رؤبة: إن تَمِيمًا كان قَهْبًا من عاذ والقَهْبُ من الإبل: بعد البازل." وهذا استطراد عنده شائع عام في محكمه.
(١) المحكم: م ١٠ / ص ٣٤٣ - ٣٤٥.

وإذا تعدت أرى هذه إلى مفعولين لم يكن من الثالث بدًّا، أو لا تراك تقول فلان يرى رأي الخوارج ولا تعني أنه يعلم ما يدعون هم علمه، وإنما تقول إنه يعتقد ما يعتقدون وإن كان هو وهم عندك غير عالمين بأنهم على الحق فهذا قسم ثالث لرأيت.

ثم يقول: فلذلك قلنا لو كانت الأبيات ثلاثة لجاز أن لا يكون فيها إبطاء لاختلاف المعاني وإن اتفقت الألفاظ وإذا هي خمسة فظاهر أمرها أن تكون إبطاء لاتفاق الألفاظ والمعاني جميعاً ولو قال قائل إنه لا إبطاء هناك لرأيت له وجهاً من القياس مستقيماً ليس به بأس وذلك أن العرب قد أجرت الموصول والصلة مجرى الشيء الواحد ونزلتهما منزلة الجزء المنفرد.

وذلك نحو قول الله عز وجل: (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: ٧٩-٨٢] إنما معناه الذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين ويميتني ويحيين وأطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، لأنه سبحانه هو الفاعل لهذه الأشياء كلها وحده والشيء لا يعطف على نفسه ولكن لما كانت الصلة والموصول كالجزء الواحد وأراد عطف الصلة جاء معها بالموصول لأنهما كأنهما كلاهما شيء واحد مفرد.

ثم أردف - كعادته - نظرية في علم العروض تثبت زيادة على ما قال قوة ما يرمي إليه من حكم، فيقول: وعلى هذا قول الأعرابي وقد سأله أبو الحسن الأخفش عن قول الشاعر:

(بناتٍ وطاءٍ على خدِّ اللَّيْلِ)

فقال له أين القافية، فقال (خذ الليل)، قال أبو الحسن الأخفش: كأنه يريد الكلام الذي في آخر البيت قلّ أو كثر، فذلك أيضاً تجعل: "ما ترى ما ترى ما وترى" جميعاً القافية ... فلا يكون في الأبيات إبطاء.

- ثم يعطي ابن سيده تلخيصاً لما قدمه من رأي، فيقول:- وتلخيص ذلك أن يكون تقديرها: أما تراني رجلاً كرؤيتك أحمل فوقى بزتي كمرئيك على قلوص صعبة كعلمك أخاف أن تطرحني كعلمك فما ترى فيما ترى كمعتقدك. فيكون ما ترى مرّة رؤية العين ومرّة مرئياً ومرّة علماً ومرّة معلوماً ومرّة معتقداً.

فلما اختلفت المعاني التي وقعت عليها ما واتصلت ترى بما فكانت جزءاً منها لاحقاً بها، صارت القافية (ما) و (ترى) جميعاً. كما صارت في قوله (خذ الليل) هي (خذ الليل) جميعاً. لا الليل وحده. فهذا قياس من القوة بحيث تراه^(١).

ومن المآخذ على المحكم وجود التصحيف، مثل قوله "تقعوش الشيخ: أي كبر .. قال ابن الأعرابي: تقعوش (كبر)، وتقعوش البيت: انهدم، بالسین غير المعجمة، وقال: إن عجمها تصحيف. ومثله قال ثعلب. وذكرها صاحب التهذيب بالمعجمة عن ثعلب عن ابن الأعرابي " (٢).

(١) المحكم: م١٠/ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) المحكم، م٢/ص ٢٧٢.

الخاتمة

الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد،
فالحمد لله تعالى الذي أعانني على إتمام عملي، فإن بدا به من خير فله الفضل والمنة، وإن
بدا به من هنات فلأني بشر أخطئ وأصيب.

ومن نتائج هذا البحث أن المعجم أداة معرفة وتوسع وبحث وتقصي الحقيقة، كما صنع
صاحب المحكم فهو يؤرخ لأمنته بمهارة الصانع والفنان الحاذق، فالأمة التي تولد معجماً مثل
" المحكم والمحيط الأعظم " ليس لها إلا أن تقف إجلالاً واحتراماً لابن سيده، ومن سبقه من
العلماء ومن كان يصب معه في تأليف المعجم؛ لأن المعجم ليس من تأليف شخص واحد،
بالمعنى المتعارف عليه، بل هو خليط مؤلفات يذويه صاحب المعجم الأخير ببوتقة واحدة
نسميها (المعجم).

ومن ذلك أن وظيفة المعجم ليست فقط في تعريف مصطلح أو لفظة، بل هناك وظيفة
أخرى هي الاشتقاق وتحميل الكلام على ما يشتق منه فالكلمة لا تقف عند حدها اللفظي، بل
لعل اشتقاق يعطي لها من المعنى ما لم يعطه لها الجذر الثلاثي.

ومن الملاحظ أن هذا الاسم المتمكن الذي اختاره ابن سيده لمعجمه، ينم عن قوة في
الاختيار وفي نظام العلامة والدلالة السيميائية الرمزية فإن المحكم والمحيط هو الأعظم ثلاث
صفات تتدرج في المعنى: الأول هو المحكم، والثاني هو المحيط، والثالث هو الأعظم. وأنه
لا يصح قلب التسمية وجعل كلمة مكان أخرى. فالمحكم والمحيط لا يكون المحيط والمحكم؛
لأن الإحاطة تكون بعد الإحكام. ويليهما التعظيم بالقدر والحجم والدراية والدلالة والتأكيد.

ومن نتائج البحث أن ابن سيده يكثر من إشارات العلماء الذين أخذ عنهم، وكذلك حجم المعلومات الهائل في المحكم في تقصي معنى لفظة أو التأكد من حركة عينها أو فائها مثلاً، أو حذف لامها مثلاً، ويسهب في ذلك. كما ويعد المحكم والمحيط الأعظم من أهم المعاجم اللغوية التي اتبعت نظام التقليلات الصوتية، لأنه متأخر زمنياً، فجمع ما سبقه إليه أصحابه من العلماء الأوائل، ثم كان ابن سيده واعياً لاستخدامه لطريقة الخليل، تلك التي يعلم بأنها أصعب من الطريقة التقليدية، ولعل سبب اختياره لهذه الطريق يبين بعدما ترى حجم المعجم الهائل نسبة للمادة العلمية واللغوية خاصة، فيبدو أنه كان واعياً بأنه يحتاج لطريقة تستوعب عمله الضخم. وهذا سبب اختياره لطريقة التقليلات والترتيب الصوتي الذي يستوعب ما لا تستوعبه الطريقة التقليدية في الترتيب الهجائي.

ومن نتائج هذا البحث أن ابن سيده كان يستثمر كل ما توصلت له يده من معلومة، وقلماً تجده يقول لك سمعت أو قرأت، بل يشير للمعلومة من صاحبها بأنه هو الذي قال، فيحاكم ويصوب وقد ينقد، أو يتمم ما نقص عند أحدهم، وقد يصمت تارة، وفي صمته حكاية أخرى تعلمنا السر في صمت من يصمتون على الخطأ، ولعله يشير لاحترامه للعلم والعلماء، من جهة، ومن جهة فيكون في صمته إشارة لقول "من قال لا أدري فقد أفتى"، ولا يقف عند حد لا أدري لأن هذا ليس من ديدن التأليف بل يلف حول اللفظة في اشتقاق من هنا أو هناك، يعلمك أن الكلام لا ينتهي والبداية هي من المعجم وليست النهاية كما هو العمل الآن.

ومما لمس الباحث في المحكم والمحيط الأعظم أن علم المعجم يدخل في كل التخصصات والبحوث، وهذا ما نراه في المحكم والمحيط الأعظم في كثرة اهتمامه بالموسيقى وعلم العروض والقافية؛ ولعل هذا يعود لكونه شاعراً وله من الحس النقدي نصيب. ولما تتبع

الباحث مواطن استخداماته العروضية في المحكم وجدها تزيد المعنى قوة، وتلفت لما قد لا تلفت له معلومات أخرى غير العروض وما يحويه من مصطلحات، إضافة لكون المعجمي يشير لاتحاد العلوم العربية، وأنه لا سبيل لفصل العلوم العربية عن بعضها، كما لا يمكن أن تأتي بحد فاصل تقطع به كالكسكين علوم العربية من عروض أو نحو أو صرف أو أصوات...

ومن نتائج البحث اعتنى بالأحكام النحوية والصرفية، واعتنى باللغات وبعض الأعلام والعروض والإيقاع والموسيقى الشعرية اعتناء لم يسبق إليه، واعتنى ببعض الظواهر اللغوية، والتعبيرات المجازية، التي تجعل في معجمه سابقة للدراسة النقدية والأدبية للشواهد الشعرية والأمثال والحكم، إضافة لاستخدامه لأم الشواهد المعجمية القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأكثر ابن سيده في معجمه من شواهد الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف على خلاف مع من لا يحتجون بالحديث النبوي الشريف.. فهو يقبل الاحتجاج به ويعده مصدراً من مصادر القاعدة اللغوية والنحوية والصرفية.

ومما هو واضح أن ابن سيده لتأخره زمانياً فقد استفاد من تجارب المعجميين السابقين، فكان معجمه أكثر دقة وانتظاماً ممن سبقه، وأكثر تفصيلاً. فكثيراً ما كان يفصل بين المواد المتشابهة التي اختلط أمرها على المصنفين السابقين. وإن أخذ عليه إتباعه نظام الترتيب الصوتي الذي يجعل البحث فيه عن المعاني أمراً ليس بالهين، وقوعه في بعض الأخطاء والتصحيقات، أخذاً عن سبقه دون تمحيص، وغير ذلك من المآخذ إلا أنه ينبغي أن لا نحاكم المعاجم التي مضى على تأليفها عشرات القرون وفق المناهج الحديثة اليوم، بل علينا أن نوظف هذه المناهج لصناعة معاجم حديثة تخدم المستويات الثقافية المختلفة، فيكون لدينا معاجم للأطفال في مدارسهم في كل مرحلة من مراحلهم الدراسية، وللقارئ العادي في بيته،

ولطالب العلم المتخصص وغير المتخصص، وبذلك نعزز الثقة بين الطالب والمعجم في المدرسة والجامعة والبيت.

ومن خلال تاريخ المعاجم ومدارسها نرى أن أنها العلامة الأبرز في تاريخ أمتنا والذي تفتخر بها على سائر الأمم، فإذا نظرنا إلى هذا الموروث الضخم والثروة اللغوية الهائلة من المادة المعجمية الذي قدمها لنا الأجداد، بمدارسها المتنوعة، وأساليبها ومناهجها المتعددة، والتي كانت فيها حركة البناء متواصلة، من إتمام نقص، أو اختصار مطول، أو تعديل في المنهج، فتعرضت لكثير من النقد والتصحيح والحذف والتهذيب، فيأتي كل معجم محاولاً تجنب الأخطاء والعثرات عند سابقه، فيؤلف معجماً لذلك، وقد ينجح في ذلك وقد لا ينجح، ثم يأتي من بعده فيذكر زلاته وهفواته، وهكذا. فحركة التأليف المعجمي لم تتوقف، فالتطور دائم ومستمر؛ لتصويب ما سبق واستكمال ما قصروا فيه، والبحث عن أساليب ومناهج أسهل وأقرب للقارئ. إلا أنه لم يستطع العرب في العصر الحديث أن يلجوا ما ولجه العلماء العرب الأوائل، فمتى سيكون للمعجم شأنٌ في الحاضر يساوي شأنه في الماضي؟

فما الذي فعلناه نحن، وماذا طورنا على معاجمنا القديمة، وهل استفدنا من هذا الكنز الثمين في خدمة لغتنا العربية، والراغبين بتعلمها من الناطقين بغيرها. وأين نحن من مشروع المعجم التاريخي الذي ينادي علماء اللغة؛ لربط ماضي الأمة بحاضرها، ودراسة تطور دلالات ألفاظها عبر العصور، وبدايات استعمال اللفظة، وهل استمرت أم اندثرت، وهل اتسعت أم انحسرت، وغير ذلك.

وهذا لا يقوم به إلا علماء اللغة المخلصون الغيورون على دينهم ولغتهم، متحليين بالصبر، وبالعمل الدؤوب دون انتظار النتائج في حياتهم؛ لأن العمل المعجمي ميراث أمة،

وجهد متواصل، فقد تعمل عملاً ويأتي بعدك من يتمه، فأنت تقدم خطوة على الطريق وتترك المجال لمن بعدك ليواصلوا المسيرة.

ولعل العكوف على دراسة المعاجم اللغوية القديمة - ومنها المحكم والمحيط الأعظم - بتوجيه من علمائها خطوة في تصحيح المسار، والنهوض بالحركة المعجمية؛ لأن قتل التراث بحثاً هو الخطوة الأولى في التحديث والبناء لمعرفة وإدراك الأساس الذي نتكى عليه. والله تعالى وحده ولي التوفيق والقادر عليه.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل : المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط(١)، ٢٠٠٠م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصار، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٨م.

المراجع:

- إسماعيل، عز الدين: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦.
- أمين، أحمد: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
- بحيري، سعيد حسن: المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢٠٠٨، ٢م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م .
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، د.ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، د.ت.

- حمّادي، محمد ضاري: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ١٩٨٢م.
- الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي " إشكالات ومقاربات "، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، ط (١) تونس، ١٩٩١م.
- الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧، ١.
- حمودي، هادي حسن: الخليل وكتاب العين، لندن، ١٩٩٤م.
- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار مأمون، د.ت.
- الحنبلي، ابن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الارناؤوط ومحمود الاناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١٩٨٩، ١.
- الخاروف، محمد فهد: التسهيل لقراءات التنزيل، مراجعة محمد كريم راجح، دار البيروتية، دمشق - سورية، ط ١، ١٩٩٩م.
- الخطيب، عماد: الصورة الفنية أسطوريا " دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي "، دار جهينة، عمان - الأردن، ط (٢)، ٢٠٠٦م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤.

- زكي، أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٤.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سري بن سهل النحوي: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- السهيلي، أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر الخضير: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.
- الصوفي، عبد اللطيف: اللغة ومعاجمها، دار طلاس، دمشق ١٩٨٦م.
- ضيف، شوقي: المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- ابن عباد، صاحب اسماعيل: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- عبد الجليل، عبد القادر: المدارس المعجمية " دراسة في البنية التركيبية "، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط(١)، ١٩٩٩م.
- كريم، محمد رياض: القول الفصل في نسبة كتاب العين إلى الخليل، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط١، ١٩٩٢م.

- العسكري، أبو هلال: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي حمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢.
- عطار، أحمد عبد الغفور: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
- عمر، أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط٣، ١٩٧٨م.
- عيد، يوسف: النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت - لبنان، د.ت.
- فاخر، أمين محمد: دراسات في المعاجم العربية، مطبعة حسان، مصر، ط(١)، ١٩٨٤م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق، ١٩٨٦م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين "مرتبا على حروف المعجم"، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط(١)، ٢٠٠٣م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم: البارع في اللغة، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية "دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصل في التجديد والتوليد"، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٦٨م.
- محمد، عبد المنعم عبد الله وأحمد طه سلطان: المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد.

- المعتوق، أحمد محمد: المعاجم اللغوية العربية "دراسة وصفية تحليلية"، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٩م.
- المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي: المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- أبو مغلي، سميح، ومصطفى الفار: الأصول في اللغة العربية وآدابها.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- نصار، حسين: المعجم العربي "نشأته وتطوره"، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٨٨م.
- النعيمي، عبد الكريم: ابن سيده، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، ١٩٨٤م.
- هلال، عبد الغفار حامد: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، مطبعة الجبلأوي، مصر، ط(١)، ١٩٩١م.
- الودغيري، عبد العلي: المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط(١)، ١٩٨٤م.
- يعقوب، إميل: المعاجم اللغوية العربية "بدايتها و تطورها": دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط(١)، ١٩٨١م.

ثانيا: الدوريات:

العربية:

- الأقطش، عبد الحميد: إتباع الإيقاع في اللغة العربية "مقاربة ألسنية في حركية اللغة"، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج١٢، ع٢، ١٩٨٤.

- ترزي، فؤاد حنا: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق - سورية، م٤٧، ج٢، نيسان، ١٩٧٢م.
- الخطيب، عدنان: المعجم العربي " حروف المعجم وترتيبها، وبناء المعجم العربي، والمعجم الحديث بين الصناعة والفن "، مجلة المجمع العربي، م٤٠، ج١، كانون ثاني، ١٩٦٥م.
- خليف، يوسف: صور أخرى من المقدمات الجاهلية (اتجاهات ومثّل)، المجلة، القاهرة، السنة التاسعة، ع (١٠٤)، أغسطس، آب، ١٩٦٥م.
- العش، يوسف: أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين، المجمع العلمي العربي، ١٩٤١م،
- القاسمي، علي: ترتيب مداخل المعجم، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، م١٩، ج١، ١٩٨٢م.

المترجمة:

- رودريكس، داريوكابانيلاس: مجلة "المناهل"، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب.
- ١ع، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٩٤هـ، نوفمبر ١٩٩٤م
- ٢ع، السنة الثانية، صفر ١٣٩٥هـ، مارس ١٩٧٥م.
- ٣ع، السنة الرابعة، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ، يونيو ١٩٧٥م.
- ٤ع، السنة الثانية، ذو القعدة ١٣٩٥هـ، نوفمبر ١٩٧٥م.

ثالثاً : الرسائل الجامعية:

- الدرويش، ياسر حمدو: الحديث النبوي في المعجم العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ماجستير، جامعة حلب، ١٩٩٩م.
- الدرويش، ياسر حمدو: الحديث النبوي في المعجم العربي من بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجريين، دكتوراه، جامعة حلب، ٢٠٠٣م.

- الرواشدة، بسمة عودة: معجم المحيط في اللغة " للصاحب بن عباد " - دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، آب، ٢٠٠١م.
- سلامي، عبد القادر: ابن سيده اللغوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حلب، سورية، ١٩٨٩م.
- مصطفى، مالك عبدالرحمن: المصطلحات اللغوية في كتاب العين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٢م.

AL-MUHKAM WA AL-MUHIT AL-A'DHAM ANALYTICAL STUDY

Supervisor

Dr. Mahmoud Abdullah Al Hadid

Prepared by

Osama Salama Al Bawareed

Abstract

This dissertation studies the lexicon of al-Muhkam Wa al-Muhit al-A'dham, which was compiled by Abi Al Hasan Ali, who is well-known as Ibn Sidah Al Andalusi, born in Marcie in ٣٩٢ A.H, died in ٤٥٨ A.H. that he used the same phonetic system used in Al Ain Lexicon for Al Khalil Bin Ahmad Al Farahidi and it was the second lexicon follows this system after Al Bari' lexicon for Abi Ali Al Qali.

This study is divided into an introduction and five chapters. The introduction starts with history of Arabic lexicons' appearance and how they developed for the reason of keep the Holey Quran and the Prophet's Hadith. Also, the researcher studies the stages of development of Arabic Lexicons, starting from the Arabs talks to the stage of gathering terms and classifying lexical writings then composing and writing comprehensive lexicons. This urged the researcher to focus on the matter of identifying lexicons, types of lexicons, the most famous lexical schools, especially, the school of phonetic changes (Al Taglibat Al Sawtiyeh) and its establisher, Al Khalil Bin Ahmad AL Farahidi and his approach in composing which influenced those who came after him especially Ibn Sidah Al Andalusi the organizer of al-Muhkam Wa al-Muhit al-A'dham Lexicon who is this study is about.

The first chapter introduces Ibn Sidah Al Andalusi, his name, birth life, his instructors, his relationships with princes and his publications then it takes in consideration the analysis of al-Muhkam Lexicon's preface, where he used the details and particulars of his approach of writing and the basics which he based on to compose his lexicon. This study also goes behind how much Ibn Sidah Al Andalusi abided in his approach's basics and we here conduct the analysis for his approach through displaying and giving a number of examples from al-Muhkam Lexicon covers the whole contents of his lexicon preface. Meanwhile, it has been focused on the reasons for which this lexicon was organized, for example, correcting the others' mistakes and upon the request of the Prince Abi Mujahed Al Amiri.

In the second chapter, which was titled with (Analysis the chapters of al Muhkam), the researcher studies the divisions of the lexicon as they were classified and arranged by the Ibn Sidah which are the consonantal, stressed, debilitated verb then the vocalic then the base form of the verb then the (Al Lafif), type of vocalic verbs then the quadric verb then the penta-verb and hexa-verb.

The third chapter's title is (Sources of al-Muhkam and its Examples). Hereon, the sources of which Ibn Sidah took his examples were studied and it was found that they were from the most famous linguists and grammarians and the other lexicons that he some times states these sources and references and sometimes he does not indicate to the reference. In the chapter, the lexical examples' types have been detailed in Al Muhakkem. These types were: the Holey Quran, the Quranic readings, Prophet's Hadith, dialects of tribes, sayings and proverbs, poetry, and verse necessities.

The fourth chapter with the title of (Subjects and Issues studied in Al Muhakkem) this covers phonetic, syntactic, morphological issues, and proper nouns, then other subjects include stating legends, information about astronomy and astrology, meanings of letters and the Persian utterances, and few rhetorical topics and other information which Ibn Sidah said that he know nothing about.

The fifth chapter is titled with (al-Muhkam, critical and evaluative). Here Ibn Sidah`s influence by the previous linguists and his influence in those who came after him was discussed in details. This is clear in the arrangement and the system of changes (Al Taqlibat) and taking form the other, and the value of al-Muhkam in his syntactic, phonetic, prosodic views and his indications to which included very important views were not found except in Al Muhakkem. The weaknesses in al-Muhkam were as using the arrangement system of Al Ain Lexicon and circumlocution when exposing issues which he give an opinion about and he does not cut off the real base forms of verb for some words and it was to be considered as weakness of al-Muhkam that it has so much details of explanations because of his very big encyclopedian knowledge.